طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

أرجوزة من زهر الآس عن جامع القرويين بفاس عبر القرون

تأليف: الأستاذ العميد
الحاج أحمد ابن شقرون

1414هـ - 1994م

أُرْجُوزَةٌ مِنْ زَهْرِ الآسِ
عَنْ جَامِعِ القَرَوِيِّينَ بِفَاسٍ
عَبْرَ القُرُونِ



تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد، فإن جامع القرويين بفاس يعتبر من أكبر مساجد المملكة المغربية، ومن أكثرها ذكرا وشهرة، وأبرزها أثرا في الحياة العلمية لبلدنا المغرب العزيز، منذ أن أسسته امرأة مومنه فاضلة، طيبة صالحة، هي فاطمة الفهرية المكناة أم البنين، التي بنته وشيدته على تقوى من الله ورضوان في النصف الأول من القرن الثالث الهجري سنة 245 هـ.

ومنذ ذلك الوقت والحين، وهذا المسجد الكبير يؤدي رسالته الإسلامية الخالدة، باجتماع الناس والتقائهم فيه على عبادة الله، وإشاعة نور العلم والمعرفة، ونشر الحضارة الإنسانية. واستمر على ذلك طيلة العصور وعهود الدول الشريفة التي تعاقبت على حكم المغرب، فكان محل اهتمام وعناية بعلمائه وطلبته، وبنايته ومدارسه المحيطة به، وظل مركز إشعاع ديني وحضاري بالنسبة للمتعلمين والدارسين من الصغار والكبار على السواء.

وقد ازدادت العناية بهذا المسجد الجامع، وشهد رعاية خاصة لعلمائه وطلبته في عهد الدولة العلوية الشريفة، وملوكها العلماء الأبرار الذين أولوه ما هو جدير به من الاهتمام، فازداد الإقبال عليه، واتسع إشعاعه الديني والحضاري، ونشطت فيه الحركة العلمية، وتنامى ذلك كله في عهد رائد الحركة الوطنية، وزعيم المقاومة المغربية، ومحقق الاستقلال والحرية والوحدة، الملك الصالح المصلح، المجاهد المفلح، جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، وجعل الجنة مقامه ومأواه.

فقد كان رحمة الله عليه ـ يكن لهذا الجامع وأهله حبا قويا وتقديرا عميقا، ويوليه اهتماما كبيرا، لما يعرف له من فضل في أداء رسالته العلمية الدينية، ويعرف عن رواده من علماء وطلبة من تفان وإخلاص في محبتهم وولائهم لجلالته، وتعلقهم بأهداب عرشه العلوي المجيد، ووقوفهم إلى جانبه ومن روائه وإلى جانب شعبه الوفي في مقاومة الاستعمار ومناهضته لنيل الحرية والاستقلال، فجدد نظام الدراسة به من حيث المواد والعلوم التي تدرس فيه، ونظم المراحل والأطوار التي يمر بها الطالب أثناء الدراسة فيه، بدءا من الطور الابتدائي، فالثانوي، ثم العالي النهائي بقسميه: الشرعي والأدبي. حيث يتخرج الطالب، وقد أحرز على شهادة العالمية، التي تدخله في مصاف العلماء، وتبوئه مقامه بينهم، وتؤهله للقيام بوظائف دينية مختلفة: من خطابة وتدريس، وعدالة وقضاء، وغيرها من الخطط الشرعية والوظائف الاجتماعية والإدارية الهامة.

ولما انتقل المُلْك وإمارة المومنين في هذا البلد الكريم إلى ابنه البار ووارث سره الهمام، وولي عهده آنذاك، الملك الصالح المصلح المجاهد جلالة الحسن الثاني أدام الله نصره وحفظه، صار على نهج والده المنعم في العناية بهذا المسجد في كل ما يتعلق به من إصلاح مادي ومعنوي، وفي الرعاية والتقدير لأهله ورواده من العلماء والطلبة، ولكافة مساجد الله وبيوته وأهله في كل مدينة وإقليم من مدن المملكة وقراها.

وهكذا حظي هذا الجامع الكبير بعناية فائقة من لدن أمير المومنين جلالة الحسن الثاني، الساهر الأمين على شؤون الدنيا والدين في هذا البلد العزيز. فجعل الدراسة تنهض وتزدهر فيه، لتظل في المستوى الرفيع الذي يتكون عليه العلماء ويتخرجون به لتأدية رسالتهم الدينية وأمانتهم العلمية نحو بلدهم وشعبهم

المسلم، ونحو الأمة الإسلامية جمعاء، خدمة للوطن والدين، ونصحا للإسلام والمسلمين.

وقد أبى حفظه الله، وهو الملك العالم العارف بالعلوم الإسلامية الشرعية والعربية، المشارك والمتضلع فيها، المحب لها والغيور عليها، وهو يعلم أن الدراسة النظامية انتقلت من المسجد إلى بنايات أخرى، إلا أن يعيد لهذا المسجد الجامع حياته، ومجده وفخاره، ويجدد له شبابه وعنفوانه، وجلاله وجماله، فعهد - أعزه الله - إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في السنوات الأخيرة بإحياء الدراسة فيه من جديد.

وهكذا تم إحياء الكراسي العلمية وحلقاتها الدراسية فيه منذ سنة 1985، وأعيدت إليه الدراسة النظامية كذلك تحت إشراف الوزارة، وعلى الطريقة التقليدية الأصيلة التي كانت الدراسة تمر بها في تكوين وتخريج العلماء، من حيث الأطوار والمواد التي تدرس فيها، وأخذت بشائر البوادر الطيبة والنتائج الحسنة لذلك التدريس المنتظم تلوح وتظهر في أفق الدراسة المتواجدة فيه بطوريها الابتدائي والثانوي، لتتواصل بعد ذلك إلى النهائي، ويتخرج منه العلماء المتمكنون والمتخصصون في العلوم العربية الإسلامية، ويكتب الله ذلك كله في سجل الأعمال الصالحة والحسنات الخالدة لمولانا أمير المومنين أيده الله بدوام النصر المكين والفتح المبين.

وبالعودة والرجوع إلى كتب تاريخ المغرب وحضارته الإسلامية على اختلاف متسوياتها وأحجامها يجد القارىء والباحث أن هذه الكتب تكفلت بالكلام المطول، والحديث المسهب المفصل عن تاريخ هذا المسجد وبنائه وتشييده العمراني، وعطائه العلمي عبر مختلف العهود، مما يروي ظمأ المتعطش ويشفي غليل من يرغب في المزيد من الاطلاع على تاريخ على ذلك ودقائقه بتفصيل، خاصة الكتاب الشهير الذي ألفه وكتبه حديثا، الأستاذ الكبير والعالم الجليل، والمؤرخ الموسوعي المتمكن، الذي هو أحد العلماء المتخرجين

من جامع القـرويين، وعضو أكاديميـة المملكـة المغربية، الـدكتور عبد الهادي التـازي بعنوان: (جامع القـرويين)، وأخرجه في ثـلاثة أجزاء، فأجـاد فيه وأفاد، واستوعـب فيه كل ما يحتاج إلى معـرفته الدارس والباحث عن تاريخ هذا المسجد العظيم.

وقد جـاءت هذه الأرجوزة التي نظمهـا الأستاذ الشـاعر الأديب والفقيـه الجليل، العـلامـة الفـاضل الشهير السيـد الحاج أحمد ابن شقـرون، رئيس المجلس العلمي الإقليمي بفاس، وعضـو أكاديميـة المملكـة المغربيـة خلاصـة جامعـة للحديث عن نشأة ذلك المسجـد وتاريخه الطويل، الحافل بـالأمجاد العلمية والوطنية، القـديمة منها والحديثة والمعاصرة، فسجل ذلك كله في هذه المنظومة، وجمعه فيها، وصـاغه في قـالب أدبي جـذاب، وأسلوب شعـري أخاذ، يستهـوي القـارىء المطلع، ويحمله على الاستـرسـال في تتبع أبياتها ونظمهـا، وتحصيل مضـامينهـا ومعـانيها، واستحضـار الفـوائد والحقـائق والأمجاد التـاريخية عن تلك المسجـد وعطـائه وإشعاعـه، كما يجد فيهـا جهـاد العلماء الأتقيـاء، وصبرهم واستماتتهم في سبيل نشر العلم والتمسك بـالـدين، وفي سبيل إخـلاصهم وولائهم لملكهم، وتعلقهم بأهداب عـرشه العلوي المجيد، وتمسكهم ببيعتـه الشرعية الخالدة، والدفاع عن حرية وكرامة الوطن.

لذلك كله، فإن الوزارة يسعدها أن تطبع هذه الأرجوزة الشعرية المتعلقـة بجـامع القـرويين وتـاريخه الطـويل وبحيـاتـه العلميـة والحضاريـة والعمرانية والجهاديـة، وأن تخرجها إلى حيز الـوجود لتكـون بين أيدي البـاحثين والـدارسين المتشـوقين لمعرفـة تـاريخ بلادهم الإسـلامي وعطائه العلمي والحضـاري عبر مختلف العهود والأجيال، والاستـزادة من تحصيل ذلك، بأسلـوب النثر والنظم على السواء.

وتسأل الله العلي القدير أن يجعل طبع هـذه المنظومة الأرجوزة في سجل الأعمال الصـالحة، والمآثـر الخالـدة، والمكـارم الحميـدة

لمولانا أمير المومنين جلالة الحسن الثاني، وأن يديم نصره وتأييده، ويبارك في عمره وحياته، ويمده بعون وفتح من عنده، ويحفظه بما حفظ به الذكر الحكيم، وأن يقر الله عين جلالته بولي عهده الأمجد، صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه الأسعد صاحب السمو الملكي الأمير المجيد مولاي رشيد، وأن يحفظه في كافة أسرته الملكية الشريفة، إنه سبحانه سميع مجيب.

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري



بسم الله الرحمان الرحيم

"أرجوزة من زَهْر الآسْ"

عن

"جامع القرويين بفاس"

"عبر القرون"

"بمناسبة حدث القرن الخامس عشر الهجري"

للأستاذ العميد :

الحاج أحمد ابن شقرون



إهداء

أهدي هذه "الارجوزة"

- إلى الذين عاشو أحداثها

- وإلى المشْبَعين بروح الاصالة الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها .

- وإلى الاجيال الصاعدة ليعرفوا ما قام به الاولون في سبيل العلم والشرف والوطن .

المؤلف

بسم الله الرحمان الرحيم

مقدمة

سيطلع القارئ الكريم، في هذه "الارجوزة"، السهلة الالفاظ، الغزيرة المعاني، على الجانب المعماري، لجامع القرويين الذي بنته فاطمة الفهرية في قلب مدينة فاس عام 245 هـ على تقوى من الله، وسيقف عند مئذنته، ومحرابه، وأبوابه، وخزانته العلمية، يستحضر ما لذلك من مجد عظيم عبر القرون وخلال الاجيال، كما سيطلع على ما كان لعلماء القرويين من هيام بنشر العلم بين أبهاء هذا الجامع الشهير . ليلَ نهارَ، وسيعرف لماذا فضَّل علماء القرويين مذهب الإمام مالك في الفقه، ومذهب الإمام الاشعري في العقيدة، ومذهب الإمام "ورش" في تلاوة القرآن الكريم، كما سيعرف ما اشتهر به الجامع من عمق، وشمول، في فهم الشريعة الاسلامية، :من بين أبيات "الأرجوزة"، وسيعرف ما للمَلَكة العلمية، من شفافية، وقوة، في عقول القابضين على زمامها، كما سيطلع على مدارس سكنى الطلبة التي تحيط بالجامع في غالب الاحيان، ويسكنون في بيوتها، لأنها في النظام القديم بمثابة الأحياء الجامعية

الجديدة .

وكلما حل فصل الربيع، حلت معه نزهة سلطان الطلبة،ذاتُ المغزَى البعيد، وسيطلع إلى جانب ذلك كله على ما آل إليه أمر التعليم في القرويين إبّان حوادثِ سنة 1944 وسنة 1953 .

وعلى الهزات العنيفة التي نزلت بالمدير، والعلماء : تلك الهزات المتجسمة في عزلهم، وسجنهم، ونفيهم، وتشريدهم .

وفي الأخير سيطلع على لحظة الفَرَج، بعودة جلالة المغفور له سيدي محمد الخامس، إلى عرش أسلافه المنعّمين، مصحوبا بِعَضُده الأيمن ووليِ عهده إذ ذاك : جلالةِ الملك الحسن الثاني نصره الله، والأُسرة الملكية الكريمة. وسيطلع على الحالة الجديدة لجامعة القرويين في عهد الاستقلال .

وكل أملي أن تروقك - يا أخي - هذه الموضوعات التي ظلت مطوية زمنا طويلا حتى جاء حَدَث القرن الخامس عشر الهجري، فكان مناسبة كريمة لتدوينها في أبيات هذه "الأُرجوزة" .

واللهُ ولي التوفيق ،

المؤلف.

بسم الله الرحمان الرحيم

ترجمة الاستاذ العميد :

"الحاج أحمد ابن شقرون"

في سطور .

- من مواليد 1913 بمدينة فاس .
- حفظ القرآن الكريم في الكُتّاب القرآني .
- التحق بالقرويين فتلقّى الدراسات الاسلامية والعربية على كبار علمائها الذين كانوا يمتازون بالتعمق والشمول .
- حصل على شهادة العالمية من القرويين برتبة مشرّفة سنة 1942 .
- اشتغل في القرويين مدرساً للمواد الاسلامية والعربية بعد نجاحه في المباراة التي عُقِدت لذلك تحت إشراف هيئة من كبار العلماء .
- رأسَ مديرية التعليم الاسلامي العالي بوزارة التربية الوطنية من سنة 1956 إلى سنة 1962 .
- رأس امتحانات شهادات "العالمية" بالقرويين طوال ست سنوات .
- سُمي بظهير شريف عميد كلية الشريعة التابعة لجامعة القرويين سنة 1979 وقضى على رأسها أربع عشرة سنة .
- رأس قسم البحوث الاسلامية بصفته مفتشا ممتازا .
- نُصِّبَ بظهير شريف رئيسا للمجلس العلمي الاقليمي في العاصمة العلمية مدينة فاس منذ سنة 1981 .
- نصب بظهير شريف عضواً في أكاديمية المملكة المغربية في مطلع سنة 1982 .

- أَلَّفَ عدة كتب في الدراسات الاسلامية والأدبية لم تُطبع بعْدُ، وعنده ديوان شعر كبير لم يطبع، نشر بحوثا وقصائد في مجلات ذات شأن .

- يدير مجلة كلية الشريعة التي وصلت أعدادها إلى 19 عددا .

- رئيس فرع رابطة العلماء بفاس . وعُيِن نائبَ الامين العام للرابطة في مؤتمر الرشيدية بإجماع المؤتمرين .

- عُضْو المجلس الوطني للشؤون الثقافية بوزارة الثقافة .بمرسوم من الوزير الأول المعطي بوعبيد وتأكيد من وزير الثقافة السيد محمد علال سيناصر.

- عضو اللجنة الوطنية المغربية التابعة : لمنظمة اليونسكو .

- عضو جمعية الجامعات الاسلامية .

- عضو هيئة العلماء المشرفين على تحرير مجلة "الإحياء" التي تُصْدِرها رابطة علماء المغرب .

- بعدَ أوسمة نال وسام العرش من درجة ضابط .

- وَضَعَ على صدره جلالةُ الملك الحسن الثاني نصره الله الميداليةَ الكبرى لأكاديمية المملكة المغربية .

مضامين الكتاب

جامع القرويين

تقريظ من العلامة : السيد عبد الله كنون

الأمين العام لرابطة علماء المغرب

عنَّ لي ان أحبر أرجوزة في تاريخ جامع القرويين وما قام به عبر القرون، من أمجاد لم تستطع العواصف أن تعفي عليها منذ أكثر من أحد عشر قرنا، فأنشأتُ هذه الأرجوزة، وأطلعت عليها الاستاذ العلامة السيد عبد الله كنون، الأمين العام لرابطة علماء المغرب،فأُعجب بها وكتب ما يلي :

هذه الأُرجوزة، هي العمل الأدبي، الذي كان ينقص تاريخ القرويين، الجامعة الخالدة، التي هي أول جامعة في المغرب، وأقدم جامعة في العالم، لا ينافسها في ذلك جامعة في الشرق أو الغرب . وعلى ما كتب عنها قديما وحديثا، بقي تسجيل تاريخها نظما، في ذمة الأُدباء،ولا سيما من كان من أبنائها، وخريجيها، الذين هم أعرف بها من غيرهم، ولقد نظم أدباؤنا، وعلماؤنا تواريخ الملوك، والبلدان، والعلماء والصالحين . وأصبح نظم الفوائد، وقواعد العلوم، والفنون شيئا معهودا في دواوين المعارف، والآداب العربية، وتميز في ذلك علماء المغرب وأدباؤه، وسلكوا فيه مناهج خاصة بهم، من الرمز، والإشارة، والتلميح، والتورية، وذلك كما في نظم الشاطبية لعلوم القراءة، والخزوجية للعروض، ومنظومة ابن فرح لاصطلاح الحديث، بل نظم ابن جابر، لعلم تعبير الرؤيا، بل انظام السيرة النبوية الكثيرة، ونظم رجال الحِلْية، ونظم صلحاء فاس، لابن عشيون، وغير ذلك مما لايدخل تحت حصر، ولكن العجب الغريب، هو أن القرويين التي خرج منها كل هؤلاء أو جلهم، من أصحاب المنظومات

المذكورة، لم يُعْنَ أحدهم ينظم تاريخها الحفيل، وماضيها العريض الطويل، في رفع راية العلم، والمعرفة والفن، والأدب، ونصرة الدين، وحماية الملة، وإنجاب المآت بل الآلاف، من عباقرة الفكر، وأساطين البحث، وعظماء المدرسين، والكتاب، والمؤلفين، وقد مضى عليها أحد عشر قرنا ونيف، في هذا الميدان، وما يرجى لها من ذلك أطول وأدوم، وأبقى، حتى أتاح القدرُ لها ابنا بارا من أبنائها، ونابغة فذًا من نبغائها، وهو العالم، الأديب الشاعر، الناثر، المجيد، المبدع، أبو العباس : السيد الحاج أحمد ابن شقرون، وكأنَّ القدر كان يتحين الفرصة، ليجد الخبير، المتمكن من أمر هذه الجامعة، ممن عَمل فيها بعد التخرج منها، وشارك في إقرار نظامها، واطّلع على خفاياها، وما في زواياها من أخبار، وآثار، ومزايا، وأسرار، لينظمها عقدا فريدا، ويقلدها دُرا نضيدا، من كلامه السهل الممتنع، السلِيس العذب، ويطرب التاريخ الادبي، والعلمي، لهذه الجامعة الزاهرة، بمنظومته هذه، وأُرجوزته التي زادت على ما عرف عن الجامعة تاريخيا، من ماض زاهر بالمفاخر، والمآثر، ما سجلته حديثا من مواقف لعلمائها، وأبنائها الأبرار، في النهضة العلمية الحديثة والكفاح الوطني، والوقوف في وجه الاستعمار الذي كان يطلق عليها اسم (البيت المظلِم)، لأنه كان كالخفّاش يُعْشيه نورُ المعرفة الوهاج، الذي تشعه على العالم، والذي يخشى منه على وجوده، ويتهدده، فيما كان يؤمل من مستقبل له في هذه البلاد، وكذلك كان، فقد لفظَتْهُ بلاد المغرب، ورمَتْ به إلى البحر من حيث جاء، وذلك بعزيمة علماء القرويين، وطلبتها، وجهادهم، ونضالهم، وصبرهم، ومصابرتهم . وبالامثال الرائعة، التي ضربوها للعالم في التضحية، وتحمّل الاذى، وتحدي كل المؤامرات، والخطط الجهنمية، التي كان يدبرها، للقضاء على العروبة والاسلام في

المغرب، وفي شمال افريقيا على العموم . وهكذا تَمَّ سجل القرويين، في العصر الحاضر، بما تضمنته هذه المنظومة، من **سطور ذهبية**، و**مقاطع عبقرية**، في عطاء القرويين، وأبناء القرويين، في ميادين العلم، والعمل، والدعوة إلى الله . وَإِنِّي أهنئ أخي، وصديقي: الاستاذ الحاج احمد ابن شقرون **بهذا العمل المتقن، البالغ النهاية في الجودة**، والذي سَدَّ فراغا، كنت ألمحه في خزانتنا العلمية والأدبية، فالله يجزيه أحسن الجزاء ويبقيه للعلم، والفضل، والاخلاق، إن الله لا يضيع أجر المحسنين .

الإمضاء :

عبد الله كنون

الأمين العام لرابطة علماء المغرب.

رحمه الله تعالى برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته.

بسم الله الرحمان الرحيم

"جامع القرويين"

وَجَـــامِـــعٍ ، مُـــنْـــذُ زَمَـــانٍ سَـــالِـــفِ
فِـــهْـــرِيَّـــةٌ (1)، بَـــنَـــتْـــهُ لِلْمَـــعَـــارِفِ

❂❂

فَـــظَـــلَّ مُـــنْـــذُ الأَلْـــفِ، بَـــلْ ونَـــيِّـــفِ
وَزِيـــدَ قَـــرْنٌ بَـــعْـــدَ ذَاكَ الـــنَّـــيِّـــفِ (2)

❂❂

مُـــشْـــتَـــغِـــلاً بِـــالـــدَّرْسِ ، وَالـــتَّـــصَـــوُّفِ
مُـــتَّـــزِيـــنًا ، بِـــالْـــعِـــلْـــمِ ، وَالـــتَّـــعَـــرُّفِ

❂❂

وَالحَـــلَـــقَـــاتُ فِـــي الـــصَّـــبَـــاحِ ، وَالْمَـــسَـــا
مَـــعْـــقُـــودَةٌ ، لِـــبَـــحْـــرِ عِـــلْـــمٍ دُرِسَـــا.

❂❂

وَبَـــيْـــنَ مَـــغْـــرِبٍ ، وَمِـــنْ قَـــبْـــلِ عِـــشَـــا
يُـــزِيـــحُ عَـــالِـــمٌ عَـــنِ الفِـــكْـــرِ ، العَشَـــا (3)

❂❂

---

(1) جامع القرويين بنته فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري القيرواني بمالها الحلال الذي ورثته من أبيها ، وكانت تُدْعَى أمّ البنين .

وكان أول الشروع في بنائه غرّة شهر رمضان المعظم عام 245 هـ (نونبر 859 م) قال المؤرخون : ونذرتْ أن تصوم طوال مدة البناء شكراً لله الذي وفقها للقيام بهذا العمل الجليل (وبني الجامع للعبادة والعلم معامن أول يوم).

(2) جامع القرويين بقي منذ أكثر من أحد عشر قرنا .

(3) العَشا : بفتح العين ظلْمة البصر،واستُعير لظلمة الفكر بالجهل .

وَقَبْلَ فَجْرٍ ، وَطُلُوعِ شَمْسِ
يَجُودُ عَالِمٌ لَنَا ، بِدَرْسِ

وَرُبَّمَا اسْتَمَرَّ (1) لِلزَّوَالِ
بِعَوْنِ مَوْلاَنَا عَلَى المَقَالِ

بِالْعَقْلِ (2) ، وَالنَّقْلِ يَفُوهُ الْقَائِلُ
ـ وَبِهِمَا ـ دَوْمًا ـ يَفُوزُ السَّائِلُ ـ

ـ وكُلُّ عَالِمٍ يَجُودُ أَبَدًا ـ
بِعِلْمِهِ ، لِمَنْ يَهِيمُ بِالْهُدَى

وَمَنْ يُرِدْ حُكْمًا فَبَيْتُ اللّهِ
مَقْصِدُهُ ، مِنْ غَيْرِ مَا اشْتِبَاهِ

(1) كان بعض علمائنا ، رحمهم الله ، يفيض في إلقاء معارفه إفاضة ، ويجد مكان القول ذا سعة ، فيستمر في الابانة ، والإفادة ، من طلوع الشمس ، إلى منتصف النهار ، في غير ما ملل ، ولا سأم ، وذلك من بركة العلم ، وجدواه .

(2) العلوم المدروسة في القرويين ، تنقسم إلى معقولة ، ومنقولة .

فالعلوم المعقولة ، تعتمد على العقل كالفلسفة ، والمنطق ، والادلة الفكرية من علم الكلام ، مثلا .

والعلوم المنقولة ، كالتفسير ، والحديث ، واللغة ، مثلا .

يُعَلِّمُون النَّاسَ بالسُّلُوكِ
وَبِالمَقَالِ الزَّاخِرِ المَسْبُوكِ (1)

✪✪

وَخَشْيَةُ اللَّه لَهُمْ ذَرِيعَةْ (2)
إِلَى الَّذِي يُمْلُونَ مِنْ شَرِيعَةْ

✪✪

بَثُّوا (3) الْعُلُومَ فِي صُدُورِ النَّاسِ
وَنَبَّهُوا بِالدَّرْسِ كُلَّ نَاسِ

✪✪

فَادَّخَرُوا بِذَاكَ عِنْدَ اللَّه
مَثُوبَةً تَنفَع فِي المتاه.

✪✪

والعُلَمَاءُ وَرَثُوا (4)الأَنْبِيَّا
فَبَلَّغُوا الْمَقَالَ، سَرْمَدِيًّا

✪✪

(1) المقال المحبوك معنى ومبنى من الكلام بمثابة الحَلْيِ المسبوك من الذهب، في الجمال، والجاذبية، والرغبة في كلٍ ، وبذلك جاز وصف المقال المحبوك، بالمسبوك ، إنزالا للمسموع، منزلة المرئي، الملموس .

(2) الذريعة : الوسيلة، والجمع : ذرائع، أي إن العلماء يتخذون خشية الله، والخوف منه، في السر، والعلن ، وسيلتهم إليه، في الاقتدار على تبليغ شريعته إليهم .

(3) جاء في الأثر : إذا مات ابن آدم انقطع عملُه، إلا من ثلاث، منها عِلم بثّه في صدور الرجال، أي نشره، فثبت أثره في قلوب الناس، وانتفعوا به في حياتهم : العامة، والخاصة .

(4) جاء في الأثر : العلماء ورثة الأنبياء أي في التبليغ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : بلّغوا عني ولو آيةً ، وقوله : نضّر الله امْرَأً سمع مقالتي فوعاها ، فأداها كما سمعها ، فرب مُبَلَّغٍ أوعى من سامع .

بِجَامِعٍ جَمَعَ كُلَّ خَيْرِ
لَيْلَ نَهَارَ : زَاخِرٍ (1) كَالْبَحْرِ

❂❂

فَبَعْضُهُمْ مُفَسِّرُ مَشْهُورُ
وَبَعْضُهُمْ مُحَدِّثٌ مَشْكُورُ

❂❂

وَبَعْضُهُمْ، مُهَنْدِسٌ (2) مُفِيدُ
وَالْفَرَضِيُّ (3) بَيْنَهُمْ عَمِيدُ

❂❂

وَسِيرَةُ النَّبِيِّ فِي الْمَقَامِ
لَهَا التَّرَبُّعُ عَلَى السَّنَامِ

❂❂

وَفِقْهُ مَالِكٍ هُوَ الْمُعْتَمَدُ
وَكُلُّهُمْ فِيهِ، فَقِيهٌ، مُرْشِدُ

❂❂

---

(1) شبه الجامع الغَاصّ بالعلماء، والطلبة، ومختلف فنون المعرفة، بالبحر الزاخر بالأمواج، بجامع الحركة، في كلٍ، والدُّؤوب على تلك الحركة، ليلَ نهار، مع ما يسمع لكلٍ من أصوات .

(2) لم يكن الجامع مقتصرا على تعليم العلوم الشرعية فقط، بل كان يساهم في تدريس غيرها، من الفنون الأخرى، التي يحتاج إليها المتعلم في دنياه، كالهندسة مثلا .

(3) كان الفرَضي أي العالم المتخصص، في دراسة علم الفرائض، بهذه المنزلة الرفيعة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : تعلّموا الفرائض وعلّموها الناس، فإنها أول ما يُرفع .

إِذْ فِقْهُ مَالِكٍ (1) عَلَى الذَّرَائِعِ
مَسْدُودَةٌ ، بِنَاؤُهُ فِي الْوَاقِعِ

⚙⚙

وَقِيلَ لاَ يُفْتَى ، وَمَالِكٌ عَلَى
مَدِينَةِ الرَّسُولِ يُهْدِي الْعَمَلاَ

⚙⚙

أَعْنِي بِهِ عَمَلَ صَحْبِ الْمُصْطَفَى
صَلَّى عَلَيْهِ ، رَبُّنَا بِمَا كَفَى

⚙⚙

وَهَذِهِ (2) مُوَطَّأُ الإِمَامِ
خَالِصُ قَوْلِ سَيِّدِ الأَنَامِ

⚙⚙

فَارْجِعْ لَهَا ، تَجِدْ بِهَا الْمَنْخُولاَ
وَالْمَنْطِقَ الشَّرِيفَ ، وَالْمَعْقُولاَ

⚙⚙

---

(1) هو مالك بن أنس إمام دار الهجرة (ت 795)، عالم بالدين، عربي الأصل، عاش بالمدينة المنورة، وتلقى عن كثير من التابعين ، وأخذ فقه الرأي عن ربيعة الرأي ، كان محدثا ، وفقيها ، يتحرى في الرواية ، فلا يأخذ الحديث عن ذي هوى مبتدع ، ولا من شيخ لا يعرف ما يحمل ، ولا من سفيه ، ولا من كذاب.

(2) للإمام مالك، كتاب ، سماه "الموطأ" جمعَ فيه ما صح عنده، من أحاديث الرسولِ سيدِنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وفِقه الصحابة ، وكان يأخذ في اجتهاده ، بالكتاب ، والسنة ، والاجماع ، وعمل أهل المدينة، والقياس ، والمصالح المرسلة ، والاستحسان . (الموسوعة العربية ص 1630).

وَالنُّورَ قَدْ جَاءَ عَنِ الْمَتْبُوعِ
يُشِعُّ عَنْ حَبِيبِنَا الشَّفِيعِ

✿✿

قَدْ دَوَّنَ الإِمَامُ ، مَا وَعَاهُ
فَزَفَّ لِلطَّالِبِ مُبْتَغَاهُ

✿✿

كَفَاهُ فَخْراً ، الإِمَامُ الشَّافِعي (1)
وَقَدْ أتَى بِسَاطِعٍ ، وَنَافِعِ

✿✿

فَإنَّهُ تِلْمِيذُهُ الْمُعْتَرِفُ
وَدُرُّهُ الْمَنْضُودُ ، وَالْمُؤْتَلِفُ

✿✿

وَمَنْ يُفَقَّهْ فِي أُصُولِ الدِّينِ
وَفِي الْفُرُوعِ خُصَّ بِالْيَقِينِ

---

(1) الإمام الشافعي : هو محمد بن ادريس (767-819) ينتهي نسبه إلى عبد المطلب، أخي هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وُلد يتيما بغزة، وانتقلت به أمه إلى مكة المكرمة، ليعيش بين أهله ، وفي العشرين من عمره، انتقل إلى المدينة المنورة، ولازم مالكا تسع سنين ـ أخذ عنه فيها الموطأ ـ ودرس فقهه، ثم ولي ولاية باليمن ... وسافر إلى بغداد ، ولازم محمد بن الحسن، وأخذ عنه فقه العراق . ثم عاد، واتخذ درسه، بالبيت الحرام ، ودوّن كتبه ، ورجع إلى بغداد، ونشر هذه الكتب ، ورواها عنه تلميذه الزعفراني، سافر أخيرا إلى مصر، (814) وتوفي بها . أشهر كتبه "الأم" و "الرسالة" . ومنهاجه، في استنباط الكتاب، والسنة، والقياس ، والاجماع ، وهو واضع أصول الفقه. (الموسوعة العربية الميسرة ص1068).وهو شاعر حكيم .

ومن شعره قوله :

إِنَّ رَبّاً كَفَاكَ بِالأَمْسِ مَاكَا
نَ ، سَيَكْفِيكَ فِي غَدٍ مَا يَكُونُ

وَالـفِـقْـهُ : فَـهْـمٌ ، وَذَكَـاءٌ ، نَـيِّـرُ
يُـعْـطَـاهُ عَـالِـمٌ ، ذَكِـيٌّ ، خَـيِّـرُ

۞۞

وَاصْـطَـلَـحُـوا عَـلَـيْـهِ ، لِـلأحْـكَـامِ
مَـأخُـوذَةً ، مِـنْ أصْـلِ حُـكْـمٍ ، سَـامِ

۞۞

خُـذْ مَـثَـلاً فَـرِيـضَـةَ الـصَّـلاَةْ
فَـحُـكْـمُـهَا فِـي الأصْـلِ مِنْ مِشْـكَـاةِ (1)

۞۞

هَـذَا إذَا نَـظَـرْتَ لِلْـوُجُـوبِ
فِـيـمَـا أتَـى عَـنْ عَـالِـمِ الـغُـيُـوبِ

۞۞

خُـذْ ـ مَـثَـلاً ـ تَـحْـرِيـمَ شُرْبِ الـخَـمْـرِ
وَالْـبُـعْـدَ عَـنْ شَـرٍّ بِـفِـعْـلِ الخَـيْـرِ

۞۞

---

(1) المشكاة في الأصل : المصباح ـ والمراد بها هنا ، الآيات القرآنية التي تنير الطريق لطالب حكم من أحكامها .
قال تعالى : "مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ"

فَــحُـــكْـــمُ ذَاكَ جَــــاءَ فِــــي الْـــكِـــتَــــابِ
عَــنْ رَبِّـنَـــا الْـمَـوْصُـــوفِ بِــالْـــوَهَّـــابِ

✪✪

فَــالحُــكْـــمُ ، قَــطْــعًا ، فِـــي الفُـــرُوعِ آتِ
مِـــنَ الأُصُـــولِ ، بِـــحِـــجَـــى الـــثِّـــقَـــاتِ (1)

✪✪

ـ والْأَشْـــعَـــرِيُّ (2) عِـــنْـــدَهُـــمْ عَـــقِـــيـــدَةْ
لِأَنَّـــهَـــا فِـــي الْـمَـــغْـــرِبِ الْـــفَـــرِيـــدَةْ

✪✪

---

(1) الحِجَى : العقل، والثقة، ويجمع على ثقات : من يُعتَمَدُ عليه ، ويُرجع إلى قوله ، وعليه فتكون الفروع الفقهية، مأخوذة من الأصول، بالاعتماد على قول الثقات، من العلماء ، ذوي العقول الراجحة .

(2) الأشعريُّ : هو أبو الحسن بن أبي موسى الاشعري (873 ـ 941 م)،ولد بالبصرة، ثم انتقل إلى بغداد، تتلمذ للجُبّائي، المعتزلي، ثم خرج عليه، وعلى مذهب المعتزلة، لاختلافه معه في مسألة الصلاح، والاصلح . له مصنفات كثيرة. عارض فيها مذهب المعتزلة ، وأيد مذهب أهل السنة، وأجمل الاشعري عقيدته في قوله :

"قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها ، التمسك بكتاب الله، وسنة نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما روي عن الصحابة، والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ... .

وأهم ما يتعلق به مذهب الاشعري، هو أنه جعل لله ما يليق به، دون أن يتحيف من حق الانسان : (الكسب) وعول على الْوحي، الذي هو عنده الاصل الوحيد، لمعرفة الله ، في حين أن العقل آلة للإدراك فقط . (الموسوعة العربية الميسرة ص 166).

لِلأَشْعَرِيٍّ مَذْهَبٌ سَدِيدُ
مُفَضَّلٌ عِنْدَهُمْ ، مَحْمُودُ

✿✿

حَلَّ بِهِ مُشْكِلَ أَفْعَالِ الْعِبَادْ
عَلَى طَرِيقِ "الكَسْبِ" فِي كُلِّ مُرَادْ

✿✿

إِذْ وَحْدَةُ اللَّهِ بِذَاتٍ ، وَصِفَاتْ
وَفِي الفِعَالِ (1) ثَبَتَتْ أَيَّ ثَبَاتْ

✿✿

وَلَيْسَ لِلْمَخْلُوقِ فِي الأَفْعَالِ
سِوَى اقْتِرَانِ قُدْرَةِ الفَعَّالِ

✿✿

لأَنَّهُ الْفَاعِلُ ، لاَ سِوَاهُ
وَلِلْعَبِيدِ "الْكَسْبُ" لاَ سِوَاهُ

✿✿

وَذَاكَ كَافٍ ، فِي تَرَتُّبِ الثَّوَابْ
وَفِي تَرَتُّبِ قَوَارِعِ الْعِقَابْ

✿✿

فَلُذْ بِهِ تَنْجُ مِنَ الْخِصَامِ
وكَثْرَةِ الْفَارِغِ مِنْ كَلاَمِ

✿✿

(1) الله جل جلاله، ثبتت له الوحدانية ، في الذات، والصفات، والأفعال، فلا توجد ذات كذاته تعالى، ولا صفةٌ كصفاته تعالى، ولا فِعْلٌ لأحد مع فعله تعالى، ولذلك اختار الإمام الاشعري طريقة "الكسب" أي مقارنة القدرة الحادثة للفعل ، نظرا لما يترتب على فعل المخلوق من الثواب، والعقاب، واختار علماء القرويين مذهبه، واعتمدوا عليه في عقيدتهم.

فَالْجَبْرُ ، وَالْقُدْرَةُ ، وَالتَّأْثِيرُ
مَدْخُولَةٌ ، وَشَأْنُهَا خَطِيرُ

✪✪

-وَفِي تِلَاوَةِ الْكِتَابِ الْمُنْزَلِ
فُضِّلَ مَذْهَبُ (1) "لِوَرْشٍ" مُنْجَلِ

✪✪

- وَقَلَمُ (2) قَدْ نَسَبُوا لِفَاسِ
بِهِ الْحِسَابُ فِي رُسُومِ النَّاسِ

✪✪

-وَجَامِعٍ جَمَعَ مَا تَفَرَّقَا
فِي الْغَيْرِ مِنْهُ مَغْرِبًا ، وَمَشْرِقَا

✪✪

وَلِجَوَامِعِ الْعُلُومِ سَبَقَا
فَكَانَ فِيهَا أَبَدًا مُحَلِّقَا

✪✪

---

(1) ورش : هو عثمان بن سعيد المصري (738-812) الملقّب بورش لبياضه، رحل إلى المدينة المنورة ليقرأ على نافع، ثم عاد إلى مصر ، حيث انتهت إليه رياسة القرّاء، كان حسن الصوت ، حجة في التجويد ، وله قراءة معروفة (وبها أخذ المغاربة) (الموسوعة الميسرة ص 1947).

(2) يتداول فرضيو فاس، وعدولها، عمليات حسابية، بأرقام خاصة، على أشكال معروفة لديهم، وذلك لمعرفة ما في الرسوم القديمة، من مثاقيل، وأوقيات، وموزونات، وفلوس، وحبوب، وكسور الحب، وأجزائها، تحريا في ضبط حقوق الناس، وخاصة إذا كثر الورثة، وتشعبوا ، ويعرف ذلك باسم "القلم الفاسي" الذي اثبتت التجربة، أنه من الدقة بمكان ، مع ما فيه من التعمية، على ذوي النيات السيئة .

وللعلّامة سيدي عبد القادر الفاسي، منظومة في الموضوع يقول في أولها:

وَاحِدُ الأَعْدَادِ هَاءٌ وَاقِفَة : هـ

تَسْأَلُ عَنْهُ سَالِفَ الْقُرُونِ
فَتَسْمَعُ الْمَنْغُومَ مِنْ رَنِينِ

❂❂

يَسْبِقُ لِلسَّمْعِ بِلاَ اسْتِئْذَانِ
كَأَنَّهُ تَكْبِيرَةُ الأَذَانِ

❂❂

ـ مِئْذَنَةُ الجَامِعِ ـ حَقّاً ـ أَقْدَمُ
مِئْذَنَةٍ، وَمِنْ خَرَابٍ أَسْلَمُ

❂❂

وَلَمْ تَزَلْ مَنَارَةُ (1) الأَذَانِ
مَتْبُوعَةً فِي سَائِرِ الأَزْمَانِ

❂❂

وَسَلْ عَنِ المِنْبَرِ فِي هَذَا العَرِينْ
تَجِدْ لَهُ فِي الدَّهْرِ أَقْدَمَ رَنِينْ

❂❂

(1) تعتبر مئذنة جامع القرويين، المئذنة الأم، التي تُحتذَي في الليل، وفي النهار، من لدن جميع المآذن، المنبثة في مدينة فاس، وذلك لما تتوفر عليه غرفتها ، من آلات، يراقبها باستمرار، موقت، ماهر، خاص، موظف للقيام بهذا الغرض النبيل، الذي يتعلق بأوقات صلاة المسلمين، وصيامهم وشؤون دينهم، وذلك منذ أقدم العصور إلى الآن .

وَسَلْ عَنِ الْخِزَانَةِ (1) الْعِلْمِيَّةْ
وَمَا بِهَا مِنْ تُحَفٍ سَنِيَّةْ

✿✿

تَجِدْ مِنَ الْمَخْطُوطِ مَا يَعِزُّ
وَفِي الْمَعَارِفِ الَّذِي يَبُزُّ

✿✿

وَسَلْ عَنِ الأبْوَابِ ، (2) والأبْهَاءِ
تَجِدْ بِهِ الْكَثِيرَ مِنْ أَسْمَاءِ

✿✿

قَدْ كَثُرَتْ بِهِ كَرَاسِي النُّورِ
مِنْ عَالِمٍ ، لِعَالِمٍ مَشْهُورِ

✿✿

واخْتُرِمَتْ بِهِ حَيَاةُ السَّنَدِ
أعْنِي حَيَاةَ الْعِلْمِ مُنْذُ الأبَدِ

✿✿

(1) خزانة القرويين : تتوفر على نفائس، قَلَّ أَن توجد في غيرها، ويكفينا للدلالة على ذلك، وجودُ كتاب أبي علي بن رَحَّال في الفقه : ذلك الكتاب الضخم، المكتوب في رق الغزال، والذي كتبه صاحبه بمداد من ماء "السواك" (قشر شجر الجوز) ، وبأحرف دقيقة، وضمنه علما غزيرا، فبرهن بذلك على ما كان للعلماء من صبر، في ميدان العلم، لا يطيقه إلا الموَفَّقون من علمائنا، رحمهم الله .

(2) لجامع القرويين ثمانيةَ عشر بابا ، مفتوحةٌ في أوجه طلاب المعرفة منذ عدة قرون ، ولعل ذلك هو السبب في تسمية مدينة "فاس" بالعاصمة العلمية.

ـ وعَرَفَ النَّاسَ بِكُلِّ عَالِمِ
مَا ابْيَضَّ مِنْ كُسْوَتِهِ (1) وَمِنْ عَمَائِمِ

⚙⚙

وَعَرَفَ النَّاسَ بِعِلْمِ الْفَاهِمِ
مَقُولَةُ مَقْطُوفَةُ الْمَغَانِمِ

⚙⚙

ـ وَمَنْ يُرِدْ تَتَبُّعَ الدُّرُوسِ
بِجَامِعِ الْفَطَاحِلِ ، الرُّؤُوسِ

⚙⚙

وَجَبَ أَنْ يُلِمَّ بِالْقُرْآنِ
وَأَنْ يَفُوزَ فِيهِ بِامْتِحَانِ

⚙⚙

مِنْ بَعْدِ حِفْظِهِ مَجَامِيعَ الْمُتُونْ
الزَّاخِرَاتِ بِنَفَائِسِ الْفُنُونْ

⚙⚙

(1) العالم في فاس، اشتهر بلباسه الابيض، الذي يشتمل على جلباب، وقباء (أي سلهام) وعمامة بيضاء، وذلك اللباس يعلي مقامه قبل جلوسه، فإذا جلس يحدث الناس، علا مقامه عندهم، بما استفادوه منه، في شؤون دينهم ،ودنياهم.

وَدَائِماً ، يَهِيمُ بِالتَّوْحِيدِ
وَالْفِقْهِ ، وَالْحَدِيثِ ، وَالتَّجْوِيدِ

۞۞

وَالنَّحْوِ ، وَالتَّصْرِيفِ ، وَالأُصُولِ
وَالْكَلِمِ الْمَعْقُولِ ، وَالْمَنْقُولِ

۞۞

وَالأَدَبِ الرَّفِيعِ ، وَالتَّوْقِيتِ (1)
وَمَا بِهِ مِنْ مَجْمَعِ السُّمُوتِ

۞۞

وَدَائِماً ، يُعْنَى بِحِفْظِ دَرْسِهِ
وَدَائِمًا ، يُعْنَى بِفَحْوَى طِرْسِهِ

۞۞

مُذَاكِراً إِخْوَانَهُ الرِّفَاقَا
حَتَّى يُرَى ، وَقَدْ سَمَا ، وِفَاقَا

۞۞

---

(1) المواد التي كانت تدرس بجامع القرويين هي :
التفسير، والحساب، والحديث، ومصطلحه - والفرائض، والأصول، والخلاف العالي، والتوحيد، والبلاغة، والفقه، والمنطق، والصرف، والتجويد، والتوقيت، والنحو، والأدب، وكلها بكتب خاصة، والعروض والقوافي، والتاريخ، والسيرة النبوية الشريفة.

وَحَصَلَتْ لَهُ بِفَضْلِ اللَّهِ
مَلَكَةٌ ، لاَ تَنْجَلِي لِسَاهِ

⚙⚙

لاَ يَحْسُبُ (1) السِّنِينَ ، وَهْوَ يَدْرُسُ
وَإِنَّمَا مَقْصُودُهُ مَا يَقْبِسُ

⚙⚙

لَكِنَّهُ إِذَا انْتَهَى وَجَدْتَهُ
نَسِيجَ (2) وَحْدِهِ الَّذِي نَشَدْتَهُ

⚙⚙

يُعْرَفُ بِالْمُشَارِكِ الْعَلاَّمَةْ
إِنْ جَالَ فِي عِلْمٍ بَدَا فَهَّامَةْ

⚙⚙

فَكَانَ مَرْجِعًا لَنَا مُقَدَّمَا
وَمُفْتِيًا ، مُحَرِّراً ، مُحْتَرَمَا

⚙⚙

---

(1) لم تكن العناية مصروفة إلى الحصول على شهادة، بقدر ما كانت مصروفة إلى التزود من المعارف ، ولذلك لم يكن الطالب يهتم بما مضى له من السنين، أثناء تلقي العلم ، وإنما كان يهتم بما يستفيده من كبار العلماء.

(2) نسيج وحده : يقال : فلان نسيج وحده أي منفرد بمزايا، لا يشاركه فيها غيره ، فيكون بمثابة النسيج، الذي لم ينسج على منواله ، وإنما نسج منه نوع واحد فقط، لا ثاني له .

وَلِلْعُلُومِ كُلِّهَا مُدَرِّسَا
كَأَنَّهُ جَبَلُ عِلْمٍ ، قَدْ رَسَا

❂❂

عَلاَّلُ (1) خُذْهُ مَثَلاً ، وَافْتَخِرِ
بِعَالِمٍ ، مُحَقِّقٍ ، مُقْتَدِرِ

❂❂

وَبُلْبُلٍ ، مُغَرِّدٍ ، مُجِيدِ
وَشَاعِرٍ ، مُنَاضِلٍ ، فَرِيدِ

❂❂

أَنْجَبَهُ جَامِعُنَا الْعَتِيدُ
وَجِلَّةٌ ، مَا فِيهِمُ ، مَسُودُ

❂❂

لَكِنَّهُ يُعْرَفُ بِالْعِصَامِيّ
الأَلْمَعِيِّ ، الْعَبْقَرِي ، الْمِقْدَامِ

❂❂

---

(1) السيد محمد علال بن عبد الواحد الفاسي عالم كبير من علماء القرويين ، وسياسي كبير معروف شرقا وغربا .

رزقه الله ذكاء خارقا ، وعلما غزيرا ، وعصامية منقطعة النظير، كان باذلا علمه بسخاء، جعل منه ذلك ما تعلمه من علم في متناول الأمة بجميع أجيالها الآتية والصاعدة.

فَالـلّـهُ يُـغْـدِقُ عَـلَـيْـهِ الـرَّحَـمَـاتْ
مَـعَ النَّـبِـيِّ ، وَالصَّـحَـابَـةِ ، الـثِّـقَـاتْ

❂❂

-فِـي جَـامِـعٍ ، لاَ يَـعْـرِفُ التَّـعْـطِيـلاَ
وَإِنَّـمَـا يُـوَاصِـلُ الـتَّـحْـصِـيـلاَ (1)

❂❂

قَـدْ ذَكَـرُوا فِـي حَـقِّـهِ مَـقُـولَـةْ
نُـثْـبِـتُـهَـا فَـائِـدَةً جَـلِـيـلَـةْ

❂❂

كَـانُـوا إِذَا عَـصَـفَـتِ السَّـمَـائِـمُ
لَـمْ يَـلْـتَـجِـئْ لِـظِـلِّ نَـوْمٍ نَـائِـمُ

❂❂

وَإِنَّـمَـا تَـنْـقَـلِـبُ الـلَّـيَـالِـي
نَـهَـارَ مَـنْ يَـهِـيـمُ بِـالْـمَـعَـالِـي

❂❂

(1) هذا النوع من التعطيل، الذي كان مجرد تحويل للتعليم من النهار إلى الليل ، إن دل على شيء، فإنما يدل على الهيام بالعلم، بصفة منقطعة النظير ، وبسبب ذلك، اكتسب جامع القرويين، هذا المجد العظيم، الذائع الصيت، في مشارق الارض ومغاربها .

فَتَسْمَعُ الدُّرُوسَ فِي الْهَزِيعِ (1)
إِلَى هَزِيعٍ غَصٌّ بِالْجُمُوعِ

✿✿

تَصَيُّداً لِنَسَمَاتٍ بَارِدَةْ
يَمْلَؤُهَا سَرَاتُنَا بِالْفَائِدَةْ

✿✿

وَالْفَلَكِيُّ (2) دَأْبُهُ الْمِحْرَابُ
لِأَنَّهُ فِي شُغْلِهِ لُبَابُ

✿✿

وَمَنْ يُشَرْ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ
فَفَائِزٌ - يَا قَوْمُ - بِالرِّهَانِ

✿✿

وَمَنْ يُضِفْ لِعِلْمِهِ ، صَلَاحَا
يَنَلْ مَعَ الْعُبَّادِ ، مُسْتَرَاحَا

✿✿

---

(1) الهزيع : جاء في لسان العرب لابن منظور:والهزيع صدر من الليل، وفي الحديث : حتى مضى هزيع من الليل أي طائفة منه .

(2) الفلكي : هو العالم المتخصص في علم الفلك، والعالم المشتغل بذلك في جامع القرويين يعنيه من ذلك العلم بصفة مؤكدة ما يتعلق بشؤون القبلة ومحرابها .

وقد درسْنا هذا الفن عند العلامة المرحوم سيدي مَحمد العلمي رحمه الله بالربع المُجيّب، والربع المقنطَر، وبكتاب "حلّ العُقدة"، عن طريق "اللوغاريتم"، وكتاب "تقريب البعيد " في حساب خسوف القمر ، وكسوف الشمس .

مَلَكَةُ (1) الْعِلْمِ هِيَ الْمُعْتَمَدَةْ
فَنِعْمَتِ الْمُعِينَةُ الْمُعَضِّدَةْ

۞۞

لَكِنَّهَا تَحْتَاجُ لِلْمِرَانِ
وَلِلْحِوَارِ ، سَائِرَ الأَزْمَانِ

۞۞

وَلِلسَّمَاعِ مِنْ ذَوِي الْبَيَانِ
الْعُلَمَاءِ ، السَّادَةِ ، الأَقْرَانِ

۞۞

الْمُلْهَمِينَ ، الْفُصَحَاءِ الْبَرَرَةْ
وَالْوَاقِفِينَ ضِدَّ حُكْمِ الْكَفَرَةْ

۞۞

الْوَارِثِينَ عَنْ رَسُولِ اللّهِ
فَلَيْسَ فِيهِمْ أَحَدُ بِلاَهِ

۞۞

---

(1) مَلَكة العلم : إذا أطلقت المَلَكة العلمية، انصرفت إلى الطاقة الفكرية، التي يملكها العالم بعد طول زمان ، وطول مِرَانٍ ، وطول سماع من ذوي البيان، وحينئذ يصبح العالم صاحبُ هذه الملكة، يتصرف بها في جميع الفنون، العقلية، والنقلية، ويملي على الطلبة من جَرّاء ذلك ما يحسُنُ السكوت عليه ، وخاصة إذا أضاف إليها معرفة المظانّ ، أي مظانّ الأجوبة على الأسئلة، التي تتماوج في ذهنه، أو ترد عليه، من جماهير المسلمين، فيجيب عنها أجوبة، كافيةً ، شافيةً ، توافق عليها الشريعة الإسلامية، وتبرأ بها ذمته مع الله، لأنها توقيع عنه، يسأله عنه (يوم تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عملَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً).

ـوَجَـرَتِ الْـعَـادَةُ "بِـالْـكَـفَـاف"
تَـمْـنَـحُـهُ وِزَارَةُ الْـأَوْقَـافِ

✪✪

تُـوَزِّعُ الـتَّـمْـوِيـنَ خُـبْـزاً لأَزِمَـا
كُـلَّ صَـبَـاحٍ يَـنْـفَـعُ الْـمُـلاَزِمَـا

✪✪

مُـعَـيْـنَـةً رُوَّادَ عِـلْـمِ الـدِّيـنِ
بِـجَـامِـعٍ عُـرِفَ "بِـالْـعَـرِيـنِ"

✪✪

وَلَـمْ تَـنَـزَلْ مَـعْـنِـيَّـةً بِـالـطَّـلَـبَـهْ
يَـنَـالُ مِـنْـهَـا كُـلُّ فَـرْدٍ طَـلَـبَـهْ

✪✪

وَفِـي الْـقَـدِيـمِ سَـدَّدَتْ رَوَاتِـبَـا
لِـلْـعُـلَـمَـا ، وكَـانَ أَمْـراً لأَزِبَـا (1)

✪✪

---

(1) اللازب : الثابت ومن الجاري على السنتهم : "صار الامر ضربة لازب" أي ثابتاً ما مِنْهُ بُدٌّ .

وَذَاكَ حِـيـنَ نُـظِّـمَـتْ دُرُوسُ
وَلِـنِـظَـامِـهَـا (1) انْـبَـرَى رَئِـيـسُ

❁❁

يَـعْـضُـدُهُ مَـجْـلِـسُـهُ الْـعِـلْـمِـيُّ (2)
وكُـلُّ شَـيْـخٍ أَسَـدٌ قَـوِيُّ

❁❁

يَـحْـمِـي الْـعَـرِيـنَ مِـنْ مَـكَـايِـدِ الْـعِـدَى
وَيَـحْـرُسُ الْـجَـامِـعَ مِـنْ غَـزْوِ رَدَى

❁❁

وَهَـكَـذَا أَعَـانَـتِ الأَوْقَـافُ
وَرِبِـحَـتْ مَـكَـارِمـاً تُـضَـافُ

❀❀❀

الْـحَـسَـنُ الْـمَـلِـكُ، أَحْـيَـا جَـامِـعَـا
فَـكَـانَ دَوْمـاً، لِـلْـكَـمَـالِ جَـامِـعَـا

❀❀❀

---

(1) نظم السلطان مولاي يوسف رحمه الله دروس التعليم بالقرويين ، وتابعَ ولَدُهُ السلطان سيدي محمدٌ الخامس رحمه الله طريقةَ والِده ، فصدرت ظهائر شريفة في هذا الصدد ، وذلك عام 1348 هـ - الموافق 1930 م ، واستقرت شؤون نظام التعليم بالقرويين سنة 1931 م. بما يشمل كلا من الجانب المادي ، والمعنوي.

(2) كان المجلس العلمي يتألف من كبار العلماء ، ويشرف على تسيير شؤون نظام التعليم بالقرويين - وكان يُعْرَف باسم المجلس العلمي التحسيني التابع للمجلس الأعلى الذي كان يرأسه الوزير الأول ، والذي كانت جلساته تعقد تحت رئاسة صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس مباشرة .رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته.

عَـــبْـــدُ الْكَبِـــيــــرِ، الـسَّـــيِّـــدُ الْوَزِيرُ
مُـــعْـــتَـــمَـــدٌ، وَفِـــعْـلُـــهُ مَـــــــــشْـكُـورُ

❀❀❀

وَفِـــي نِـــظَـــامِـــهِ الْـــجَـــدِيـــدِ، الْـــحَـــالِـــي
قَـــدْ صَـــيَّـــرَ، الأحْـــيَـــاءَ كَـــالَّـــلآلِـــي

❀❀❀

فَـــأَصْـــبَـــحَ الـــطُّـــلاَّبُ فِـــي أمَـــــانِ
وَرَاحَـــةٍ، تَـــظْـــهَـــرُ لِـــلْـــعِـــيَـــانِ
ـ وبَـعْـدَ ذَلِـكَ: فَـكَـانَ فِـي الْـمَـسْـجِـدِ نـور، وسَـنَـى
وكَـــانَ فِـي الْـمَـــسْـــجِـدِ قِـطْـفٌ قَـــدْ دَنَـا

❀❀❀

ورئيس المجلس العلمي في وقت (1354 هـ) تعاطينا للدراسة بالقرويين كان هو العلامة المشارك الشريف : مولاي عبد الله الفضيلي رحمه الله. وهذا يدل تاريخيا على أن أول مجلس علمي كان في المملكة المغربية هو المجلس العلمي بفاس. وفي القرويين بالذات. وأول رئيس لأول مجلس علمي هو العلامة سيدي أحمد ابن الخياط. والثاني هو العلامة سيدي أحمد بن الجيلالي والثالث هو العلامة مولاي عبد الله الفضيلي ، والرابع هو العلامة مولاي مبارك ، والخامس هو العلامة سيدي الطايع ابن الحاج السلمي ، والسادس هو العلامة سيدي الحسن مزور ، والسابع هو العلامة سيدي محمد بناني ، والثامن هو العلامة سيدي محمد ابن ابراهيم ، والتاسع هو العلامة سيدي الجواد الصقلي ، والعاشر هو العلامة مولاي عبد الواحد العلوي المدغري ، والحادي عشر هو خديم العرش العلوي الشريف المنيف الحاج أحمد ابن شقرون - وفيما يلي نص الظهير الشريف المتعلق بذلك . وبالمناسبة أُسجل للحقيقة والتاريخ.

ان سيدي محمد الطاهري لما توفي رحمه الله عين في محله مولاي الحسن الراشيدي الرئيس الأول لمحكمة الاستئناف بفاس، وأن الدكتور السيد أمل جلال هو عميد جامعة سيدي محمد ابن عبد الله، وأن العلامة السيد عبد الحي العمراني هو مفكر إسلامي وباحث مقتدر، وأن الدكتور سيدي عبد الكبير العلوي المدغري هو وزير للأوقاف والشؤون الإسلامية، وأن العلامة الحاج عبد الكريم الداودي هو الأمين العام لرابطة خطباء المساجد في العالم، وأن الدكتور سيدي محمد الكتاني هو قيدوم كلية الآداب بتطوان، وأن الدكتور السيد عبد الوهاب التازي، هو عميد جامعة القرويين .

الحمد لله وحده   والصلاة والسلام على رسول الله



1-81-320

يعلم من ظهيرنا الشريف هذا اسماه الله واعز أمره اننا

بمقتضى الظهير الشريف رقم 270-80-1 بتاريخ 3 جمادى الاخيرة 1401 (8 ابريل 1981) المتعلق باحداث المجلس العلمي الاعلى والمجالس العلمية الاقليمية ولاسيما الفصل السابع منه

وبمقتضى الظهير الشريف رقم 316-81-1 الصادر في 10 رمضان 1401 (12 يوليوز 1981) باحداث المجالس العلمية الاقليمية ،

اصدرنا امرنا الشريف بما يلي :

الفصل الأول

يعين السيد الحاج احمد بن شقرون رئيسا للمجلس العلمي الاقليمي لمدينة فـاس

كما يعين عضوا بهذا المجلس كل من السادة :

1 محمد الطاهري

2 امل جلال

3 عبد الحي العمرانـي

4 عبد الكبير المرغري

5 عبد الكريم الداودي

6 محمد الكتانـي

7 عبد الوهاب التازي

الفصل الثاني

ينشر ظهيرنا الشريف هذا بالجريدة الرسميـة

وحرر بالرباط في 10 رمضان 1401 (12 يوليوز 1981)

وقعه بالعطف
الوزير الاول

الامضاء : المعطي بوعبيد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله

رقم 1.81.320

يعلم من ظهيرنا الشريف هذا، اسماه الله وأعز أمره، أننا بمقتضى الظهير الشريف رقم 1.80.270 بتاريخ 3 جمادى الأخيرة 1401 (8 أبريل 1981) المتعلق بأحداث المجلس العلمي الأعلى، والمجالس العلمية الإقليمية، ولا سيما الفصل السابع منه.

وبمقتضى الظهري الشروف رقم 1.81.316 الصادر في 10 رمضان 1401 (12 يوليوز 1981) باحداث المجالس العلمية الإقليمية ،

أصدرنا أمرنا الشريف بما يلي :

الفصل الأول

ـ يعين السيد الحاج أحمد بن شقرون رئيسا للمجلس العلمي الإقليمي، بمدينة فاس، كما يعين عضوا بهذا المجلس كل من السادة :

1. محمد الطاهري
2. أمل جلال
3. عبد الحي العمراني
4. عبد الكبير المدغري
5. عبد الكريم الداودي
6. محمد الكتاني
7. عبد الوهاب التازي

الفصل الثاني

ينشر ظهيرنا الشريف هذا بالجريدة الرسمية.

وحرر بالرباط في 10 رمضان 1401 (12 يوليوز 1981)

وقعه بالعطف الوزير الأول

الأمضاء : المعطي بوعبيد

وبُنِيَتْ مَدارِسٌ لِلطَّلَبَةْ
لِيَجِدَ السَّاكِنُ فِيهَا مَأْرَبَهْ

۞۞

وَيَسْتَعِينَ بِبُيُوتِهَا عَلَى
مَا يَرْتَجِيهِ مِنْ مَعَارِجِ (1) الْعُلاَ

۞۞

تَدُورُ بِالْجَامِعِ كَالسِّوَارِ (2)
بِمِعْصَمٍ ، مِنْ خَالِصِ النُّضَارِ

۞۞

وكُلُّهَا بِمَسْجِدٍ مَقْصُودِ
تَفُوحُ كَالْعِطْرِ مِنَ الْوُرُودِ

۞۞

يَبْدَأُ فِيهَا عَالِمٌ جَدِيدُ
حِينَ يُفِيدُ ، هُوَ يَسْتَفِيدُ

۞۞

---

(1) المعارج : جمع معرج بكسر فسكون ففتح ، هو المصعد الذي يصعد عليه إلى أعلى ، والمقصود بقولنا : معارج العلا ، التقدم العلمي والتفوق فيه .

(2) السوار بكسر السين وتفتح : حِلْيٌ تلبسه المرأة في مِعْصمها لتتزين به. شبّهتْ هذه المدارسُ بذلك السوار، والجامعُ الجمالَ في كلٍ .

(3) بما أن التعليم غير العلم ، لانه مهنة ، والمهنة لا تحصل لصاحبها إلا بمزيد من الدربة، والمران، والممارسة، لذلك كان يَعْمِدُ العالم الذي حصّل على الإجازة من شيوخه إلى إلقاء دروسه الأولى في مساجد هذه المدارس ليفيد بها الطلاب، ويستفيد هو منها في الوقت نفسه مَقْدُرة على تبليغ ما تعلّم من علم ، فإذا حصل على تلك المقدرة، أو كاد إنتقل إلى التعليم داخل المسجد (العَرين) : القرويين. وأسماء المدارس هي: العطارين، والمصباحية، والشراطين، والعِنّانية، والصفارين، والمحمدية، ومدرسة باب عجيسة، ومدرسة السبعين، ومدرسة الوادي .

وَبَعْدَهَا فِي الْجَامِعِ : الْعَرِينِ
يُمْلِي الَّذِي اسْتَفَادَ مِنْ فُنُونِ

۞۞

وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَا تَهَيُّبَا
مِنْ سَادَةٍ بِعِلْمِهِمْ تَأَدَّبَا

۞۞

فَبَاشَرَ التَّعْلِيمَ خَارِجَ الْحِمَى (1)
حَتَّى تَمَرَّسَ بِمَا تَفَهَّمَا

۞۞

وَعِنْدَهَا أَدْلَى بِدَلْوِ الْعَالِمِ
الْمُتَمَكِّنِ ، الْقَوِيِّ ، الْفَاهِمِ

۞۞

فَنَالَ مَا يَرْجُو مِنَ التَّقْدِيرِ
وَحَازَ مَا يَكْفِي مِنَ التَّصْدِيرِ

۞۞

فِي جَامِعٍ خُصِّصَ لِلتَّعْلِيمِ
وَلِلْعِبَادَةِ مِنَ الْقَدِيمِ

۞۞

---

(1) الحِمَى: كُلُّ حَرِيم يحميه أهلُه، ويدافعون عنه دفاع المستميت .

والمقصود : جامعُ القرويين نفسُه ، فإنه مَقَر جمهور العلماء، في قلب "فاس" ومصدر الإشعاع الافريقي، بل العالَمي، منذ أقدم عصور التاريخ .

ولذلك كان مرعيا من لدن حُمَاته المدافعين عنه فأُطلِق عليه اسمُ : الحِمَى.

وَالْعِلْمُ فِي الْجَامِعِ عُمْقٌ ، وَشُمُولْ
وَفِيهِمَا الْمِدْرَهُ (1) دَائِمًا يَجُولْ

✪✪

خُذْ - مَثَلاً - مُخْتَصَراً يُعَلَّمُ
فِي ثُلْثِ قَرْنٍ كَامِلٍ قَدْ خَتَمُوا

✪✪

وَالْبَحْثُ يَشْمَلُ اللُّبَابَ ، وَالْكَلِمْ
حَتَّى يَفُوزَ نَهِمٌ (3) بِمَا فَهِمْ

✪✪

وَرُبَّمَا طَالَ مَجَالُ الدَّرْسِ
مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْأَمَ أَيُّ نَفْسِ

✪✪

وَالْعِلْمُ إِنْ مَنَحْتَهُ زَمَانَكْ
بِالْبَعْضِ مِنْهُ رُبَّمَا أَعَانَكْ

✪✪

---

(1) المِدْره : بكسر ، فسكون ، ففتح :
هو سيد القوم الناطق بما يحسن السكوت عليه ، لسمو أفكاره ، وسعة أفقه العلمي.

(2) كتاب المختصر في الفقه المالكي للشيخ خليل، نال حظوة منقطعة النظير بين علماء القرويين،فتباروْا في تدريسه بشرح الدردير وشرح الخَرشي وحاشية الزرقاني والرهوني وبناني وغير ذلك من الشروح ، والحواشي ، والتعاليق وتعاليق التعاليق ، بحيث ما كان المدرس الماهرلاينتقل من جملة إلى جملة أخرى إلا بعد قتل الجملة الأولى بحثا ، وشرحا، وتعليقا ، بما لا يبقي مجالا لشك . وعن طريق ذلك تتكون طاقة المَلَكة العلمية ، ويُحْوِجُ الامرُ إلى سنوات، وسنوات، بحيث لا يختم الكتاب "لمن ختمه قبل أن يعاجله المنون" إلا بعد مضي نحو ثلث قرن من الزمن .

(3) النَّهِم : يفتح فكسر ، المولَع بالشيء مع إفراط الشهوة وفي الحديث: منهومان لا يَشبعان : منهومٌ في المال ، ومنهوم في العلم .

وَالْعِلْمُ كُلُّهُ رَزِينٌ، وَثَقِيل
وَالْعِلْمُ كُلُّهُ رَصِينٌ، وَجَلِيل

❂❂

إِسْمَعْ كَلاَمَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ
"قَوْلاً ثَقِيلاً" (1) بَيِّنَ الْبُرْهَانِ

❂❂

وَالْعُلَمَاءُ مُتْعَبُو الْأَرْوَاحِ
وَغَيْرُهُمْ مُعَذَّبُو الأَشْبَاحِ

❂❂

وَالْحَمْلُ فِي الصَّدْرِ أَجَلُّ قَدْراً
مِنْ حَمْلِ مَا يُثْقِلُ مِنْكَ ظَهْراً

❂❂

(1) "قولا ثقيلا" قال الله تعالى في كتابه العزيز: «إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً» (المزمّل الآية 5). الإمام القرطبي: إنا سنوحي إليك القرآن، وهو قول ثقيل يُثْقِلُ العمل بشرائعه، وفرائضه، وحدوده، وحلاله، وحرامه، ووعده، ووعيده، قال الفرّاء: (ثقيلا) أي رزينا، ليس بالخفيف السفساف لأنه كلام ربنا، وقال الحسين بن الفضل: (ثقيلا) أي لا يحمله إلا قلب مؤيّد بالتوفيق، ونفس مزينة بالتوحيد، وجاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أُوحِيَ إليه وهو على ناقته وضعَتْ جرانها. أي صدْرها. على الارض فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى(1) عنه":

(1) أي الوحي

فَأَنْتَ إِنْسَانٌ بِرُوحٍ (2) تَعْلَمُ
وَلَسْتَ إِنْسَانًا بِجِسْمٍ يَطْعَمُ

❂❂

(2) بروح تعْلَم، الانسان من حيث مطالبه الجسدية، حيوان كبقية الحيوانات العجماء. فإذا هو اقتصر على تلبية مطالب جسده كان أدخل في صميم الحيوانية، وإذا هو أقبل على روحه يهذبها، ويربيها، ويغذيها بمزيد من المعرفة كان إنسانا حقا :

أَقْبِلْ عَلَى الرُّوحِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا
فَأَنْتَ بِالرُّوحِ لاَ بِالجِسْمِ إِنْسَانُ

فِـي تُـونِـسَ الْـخَـضْـرَاءِ قَـوْلٌ سَـارِ
بَـيْـنَ ذَوِي الْـعِـلْـمِ مِـنَ الْـكِـبَـارِ

❁❁

إِنْ نَـزَلَـتْ نَـازِلَـةٌ عَـوِيـصَـةْ
لَـمْ يَـرَوْا نُـورَهَـا ، وَلاَ بَـصِـيـصَـهْ

❁❁

جَـاؤُوا بِـقَـوْلٍ شَـائِـعٍ فِـي الـنَّـاسِ
لَـيْـسَ يَـحُـلُّـهَـا قُـضَـاةُ فَـاسِ (1)

❁❁

-وَجَـامِـعٍ يُـقْـصَـدُ مِـنْ أَنْـحَـاءِ
فِـيـهِ يُـقِـيـمُ مَـنْ دَنَـا ، وَالـنَّـائِـي

❁❁

مِـنْ عُـلَـمَـاءِ مُـعْـظَـمِ الْـبِـلاَدِ
وَقَـادَةٍ ، فَـطَـاحِـلٍ ، أَسْـيَـادِ

❁❁

---

(1) ما يزال جاريا على ألسنة العلماء في تونس : قولَهم في النازلة العويصة: هذه نازلة لا يَحُلُّها حتى قاضي فاس - وفي ذلك اعتراف بضلاعة قاضي فاس وسَعَةِ اطِّلاعه .

مِثْلِ الْعِراقِيِّ ، (1) وَمِثْلِ الشّامِي
وَالْيَمَنِيِّ ، الْعَالِمِ الْهُمَامِ

❂❂

أَمَّا الَّذِي يُعْرَفُ بِالصَّقَلِّي
فَإِنَّهُ مُبَرِّزٌ ، مُجَلِّي

❂❂

وَجَرَتِ الْعَادَةُ بِالتَّقْدِيمِ (2)
لِكُلِّ شَهْمٍ ، وَاجِبِ التَّعْظِيمِ

❂❂

وَالْعِلْمُ وَحْدَهُ هُوَ الْمِقْيَاسُ
وَالْفَضْلُ وَحْدَهُ هُوَ النِّبْرَاسُ

❂❂

فَمَنْ يُبَرِّزْ مِنْ شُيُوخِ الدِّينِ
قُدِّمَ دُونَ نَظَرٍ لِطِينِ

❂❂

---

(1) ومثل أولئك : الفارسي ، والأزدي ، والطليطلي ، والشاطبي ، والبغدادي، والغرناطي ، والمالقي، واليوسي.

(2) كل من التحق بهذا الجامع، أو تخرج منه من العلماء الأكفاء، فإنه يستحق التقديم على غيره من باقي العلماء لمزيد اطلاعه، وهذا الانصاف كافٍ في تصوير الجو العلمي، الذي ظل يسود هذا المسجد عدة قرون .

تَـــزْكِـــيَـــةً لِـــعِـــلْـــمِـــهِ الْـــمَـــنْـــشُـــورِ
وَفَـــضْـــلِـــهِ الْـــمَـــوْفُـــورِ ، وَالْـــمَـــشْـــهُـــورِ

۞۞

وَهَـــكَـــذَا حَـــلَّ بِـــهِ مُـــحْـــتَـــرَمَـــا
كُـــلُّ امْـــرِئٍ بِـــعِـــلْـــمِـــهِ قَـــدِ احْـــتَـــمَـــى

۞۞

مِـــنْ دُوَلِ الإِسْـــلَامِ فِـــي الْـــأَنَـــامِ
وَقَـــدْ سَـــمَـــتْ بِـالْـفَـــهْـــمِ ، وَالإِفْـــهَـــامِ

۞۞

وَمِـــثْـــلُ ذَا مِـــنْ مُـــدُنٍ بِـــالْـــمَـــغْـــرِبِ
كَـــالـــشَّـــرْكِـــي ، وَالجَـــايِ ، وَقَـــوْمٍ (1) نُـــجُـــبِ

۞۞

---

(1) وقومٍ نُجُبٍ

أمثال الهواري، والصنهاجي، والزرهوني، والمكناسي، واللواتي، والمغيلي، والسوسي، واليصلوتي، والتادلي، والسجلماسي، والغماري، والورياگلي، والفشتالي؛ والتازي، والدكالي، إلى جانب الفاسي، وابن سودة، والطاهري، وابن الخياط، والفضيلي، وابن شقرون، وابن كيران .

وَجَـــرَتِ الْـــعَـــادَةُ بِـالـــصِّــــلاَتِ
مِـــنْ عَـاهِـلٍ يَـجُـودُ بِـالْـهِـبَــــاتِ

۞۞

لِلْعُـلَـمَـاءِ - يَـا أَخِـي - فِي كُـلِّ عَــامْ
صِـلَـةُ تَـقْـدِيـرٍ (1) كَـرَمْـزٍ مِـنْ إِمَــامْ

۞۞

لِلْـعِلْـمِ يَـأْتِـي مِـنْ صَـمِـيمِ الشَّــرْعِ
وَيَـنْـتَـمِـي لِلـنَّـفْـعِ أَيِّ نَـفْـــعِ

۞۞

لاَ يُـعْـبَـدُ اللَّــهُ بِـغَـيْـرِ عِـلْــمِ
فَـإِنَّـهُ نُـورٌ ، وَنَـبْـعٌ يَـهْـمِـــي

۞۞

وَهَـكَـذَا قَـدْ عَـاشَـتِ الْـقُـــرُونُ
وَدَأَبَـتْ ، وَأَمْـرُهَـا (2) مَـسْـنُـــونُ

۞۞

هوامش :

(1) صلة تقدير

ما كانت الصلة تعطى في مقابلة عمل وإنما كانت تقديرية لمحض العلم وحامليه من العلماء .

(2) وأمرها مسنون :

الضمير عائد على الصلة المادية، ومن سن سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة .

مُحَمَّدُ (1) الْخَامِسُ نِعْمَ الْعَاهِلُ
وَشِبْلُهُ الْحَسَنُ نِعْمَ الْكَامِلُ

❁❁

وَجَامِعٍ فِي الدَّهْرِ بَانَ فَضْلُهُ
وَجَامِعٍ فِي الْعُمْرِ قَلَّ مِثْلُهُ

❁❁

فَعَيَّنَ الْمُتَوَّجُ الْمُدِيرَا
مُحَمَّداً الْفَاسِيَ (2) الشَّهِيرَا

❁❁

لِصِلَةٍ لَهُ بِآلِ فِهْرِ
وَلِلَّذِي يَمْلِكُهُ مِنْ فِكْرِ

❁❁

فَشَمَلَ الدُّرُوسَ فِي "الْعَرِينِ"
مِنْ جَامِعٍ، بِسَاطِعِ الْيَقِينِ

❁❁

هوامش :

(1) سيدي محمد الخامس (1380 هـ / 1911ـ1961) هو ملك المغرب تولى السلطة سنة 1927 ـ ناصَرَ الحركة الوطنية في بلاده ، وطالَب باستقلالها عندما عقد مؤتمر الدار البيضاء في أثناء الحرب العالمية 2،وفي 1951 حينما اشتدت الحركة الوطنية طلب منه الجنرال الفرنسي جوان أن يستنكرها فرفض، فنفته الحكومة الفرنسية إلى مدغشقر (غشت 1953) وأُفْرِجَ عنه في 16 نونبر 1955 . وفي عهده أعلن استقلال المغرب في 20 مارس 1956. نهض ببلاده ـ رحمه الله ـ في مرافق التعليم والاصلاح الداخلي . (الموسوعة العربية الميسرة ص 1659).

(2) هو البحاثة المطلع السيد محمد بن عبد الواحد الفاسي وزير التعليم الأسبق ، ورئيس جامعة محمد الخامس،ورئيس جمعية الجامعات الاسلامية، ووزير الثقافة والتعليم الأصيل.وقد عاشرته في القرويين (1) وفي الوزارة(2) وفي الحركة الوطنية وفي السراء والضراء فتعرفت على شخصية فذة بناءة ـ بحركة دائبة، وموفقة ـ في جميع المجالات ، ويمتاز على الخصوص بحسن العهد، وحسْنُ العهد من الإيمان .

ولما توفي رحمه الله رثيته بقصيدة طويلة جاء فيها .

يَا رَاحلاً تَرَكَ الأحِبَّةَ فِي ضَنَى

وَمَضَى لِيَنْعَمَ بِالخُلُودِ وَبِالثَّنَا

يَا رَاحِلاً غَمَرَ المَجَامِعَ حِكْمَةً

وَالكَوْنَ أَجْمَعَهُ سَبَايِكَ مُبْتَنَى

(1) أيام كان مديرا مرفقا لها

(2) أيام كنت رئيس قسم التعليم الاسلامي العالي بالوزارة .

وَلَــمْ يَــزَلْ يُــوَاصِــلُ الْــمَــسِــيــرَاَ
بِــجَــامِــعٍ حــتى بــدا مُــنِــيــرَاَ

❂❂

وكَــثُــرَ الــطُّــلاَّبُ ، وَالــــرُّوَّادُ
وَعُــلَــمَــاءُ الــدِّيــنِ فِــيــهِ سَــادُوا

❂❂

وانْتَصَــرَ الْعِــلْــمُ عَــلَــى الْجَــهَــالَــةْ
وانْــتَــصَــرَ الجِــدُّ عَــلى الْــبِــطَــالَــةْ

❂❂

وانْــتَــصَــرَ الْــحَــزْمُ عَــلَــى الــتَّــوَاكُــلِ
وانْــتَــصَــرَ الْــعَــزْمُ عَــلَــى الــتَّــكَــاسُــلِ

❂❂

واتَّــصَــلَــتْ أَطْــوَارُهُ (1) الــرَّفِــيــعَــةْ
فِــي حَــلَــقَــاتٍ جَــمَّــةٍ بَــدِيــعَــةْ

❂❂

(1) كانت أطواره ثلاثة :

الطور الأول ، ويشتمل على ثلاث سنوات .

الطور الثاني ، ويشتمل على ست سنوات .

والطور النهائي : ويشتمل على ثلاث سنوات في القسم الأدبي وثلاث سنوات في القسم الشرعي . ومن نجح في القسم الادبي أو القسم الشرعي من الطور النهائي يسمى : عالما . وكانت الدراسة بالكتب القيمة في جميع أطواره.

وكَـــانَ مِـــنْ إِصْـــلاَحِـــهِ الـتَّـــفَـــنُّـــــنُ
مَـعَ تَــخَــصُّــصٍ ، (1) قَـــوِيٍّ يُـــعْـــلَـــنُ

۞۞

فَـــعُــــرِفَ الْـــفَـــقِـــيـــهُ ، وَالْـــأَدِيـــــبُ
وَعُـــــرِفَ الْـــمُـــؤَرِّخُ ، الْـــأَرِيـــــبُ

۞۞

وَعُـــــرِفَ الْـــمُـــفَـــسِّـــرُ الْـــمَـــرْمُـــوقُ
وَعُـــــرِفَ الْـــمُـــحَـــدِّثُ ، الْـــمَـــشُـــوقُ

۞۞

وَعُـــــرِفَ الْـــمُـــوَفَّـــقُ الْـــفَـــرِيـــــدُ
وَعُـــــرِفَ الْـــفَـــرَضِـــيُّ ، الْـــمُـــفِـــيـــدُ

۞۞

وَعُـــــرِفَ الْـــمُـــذَاكِـــرُ ، الْـــقَـــوِيُّ
مَـــيَّـــزَهُ تَـــخَـــصُّـــصٌ سَـــنِـــيُّ

۞۞

---

(1) مع تخصص قوي .

بما أن تشعب الفنون، وتكاثرها ، اقتضى الميل بالمعرفة إلى التخصص،رغبة في المهارة، والضلاعة، ولذلك كان من نظر مدير القرويين: الاستاذ الكبير السيد محمد الفاسي، أن يحمل علماء القرويين على التخصص، فصنفهم إلى أصناف الفقهاء، والأدباء، والمؤرخين، والمفسرين، والمحدثين، والفرضيين، لذلك كان كلما شرع في توزيع المواد الدراسية على الحصص الزمنية، عهد بكل مادة من تلك المواد، إلى العالم الذي ندبه للقيام بها ، واستمر على ذلك عدة سنوات، ولذلك كان كل مختص في مادة يصول فيها ويجول، ويُبَرِّزه عملا بقول القائل : ما ذاكرت صاحب فنون إلا غلبته، وما ذاكرني صاحب فن إلا غلبني .

لِلْعِلْمِ عِيدٌ فِي الرَّبِيعِ النَّامِي
خُصَّ بِهِ الْجَامِعُ فِي الأَنَامِ

✿✿

سَنَّهُ مَوْلاَيَ (1) الرَّشِيدُ مَغْنَمَا
يُزْهَى بِطُلاَّبٍ ، وَعِلْمِ الْعُلَمَا

✿✿

سُلْطَانُ طُلاَّبٍ يَلُوحُ فِيهِ
مُتَوَّجاً ، وَبَادِيَ التَّرَفِيهِ

✿✿

وَيَسْتَحِقُّ ذَاكَ مَنْ تَفَوَّقَا
وكَانَ فِي الْعُلُومِ فَذّاً مُشْرِقَا

✿✿

فَيُدْرِكُ التَّتْوِيجَ فِي الرَّبِيعِ
لِفَتْرَةٍ مِنْ طَرَفِ الْجَمِيعِ

✿✿

---

(1) مولاي رشيد

هو المولى الرشيد بن الشريف أصل الدوحة العلوية الشريفة الذي انطلق من سجلماسة يجوب أنحاء المغرب فاستولى على "فاس" وعلى " مراكش" في وقت قصير، ومآثرُه في عاصمة ملكه مدينة "فاس" معروفة ، ومنها مدرسة الشراطين التي بناها لطلبة القرويين .

قال أبو العباس أحمد بن خالد الناصري في الجزء السابع من كتابه الاستقصا ص 43 . كان أمير المومنين المولى الرشيد ... مقيما بمراكش ... إلى أن كان عيد الأضحى من سنة 1082 هـ.فلما كان ثاني يوم النحر وهو يوم الخميس ركِب فرسا وأجراه فجمحَ به في بستان المسرة ولم يملك عنانه فأصابه فرع شجرة، كانتْ فيه مَنِيّتُهُ رحمه الله ودفن بمراكش بالقصبة منها،ثم نقل إلى ضريح الشيخ أبي الحسن علي بن حِرْزِهِم بفاس لوصية منه بذلك له : وذكر صاحب "نشر المثاني" أنه كان يحضر مجلس الشيخ اليوسي بالقرويين .

يُقِيمُ سُلْطَانًا عَلَى الطُّلاَّبِ
مُتَوَّجًا بِثِقَةِ الأَصْحَابِ

❁❁

وَيَخْرُجُ الْمَوْكِبُ لِلْعَرَاءِ
فِي نُزْهَةٍ، تَرِفُّ بِالرُّوَاءِ

❁❁

عَلَى ضِفَافِ خُضْرَةِ الْجَوَاهِرِ (1)
فِي أَرْضِ فَاسٍ : مُلْتَقَى اَلْجَوَاهِرِ

❁❁

وقُبَّةُ السُّلْطَانِ تَمْتَازُ عَلَى
بَقِيَّةٍ، بِمَا يُزِيحُ الْمَلَلاَ

❁❁

وَالْوُزَرَاءُ مَعَهُ، قُعُودُ
كُلٌّ يُنَفِّذُ، وَلاَ يَزِيدُ

❁❁

---

(1) على ضفاف خضرة " الجواهر "

أي على جانبي وادي الجواهر الذي يُعرف " بوادي فاس " والذي ينطلق ماؤه من أعالي المدينة مارا بوسطها، جامعا نفاياتها أثناء مروره ليلقي بها خارج المدينة في " واد الزّحون " لتصل بعد ذلك الى النهر الكبير وادي سبو - وبذلك تحتفظ مدينة فاس بنظافتها لكثرة المياه العذبة المتدفقة داخل بيوتها وخارجها . وفي فصل الربيع يقصد سلطان الطلبة ومن معه من بقية طلبة القرويين ضفاف وادي الجواهر هذا لقضاء عطلة الربيع في تظاهرة ثقافية منقطعة النظير ، ويلتف حوله سكان فاس بموائدهم الفاخرة ، وعوائدهم الرفيعة النادرة .

مُمْتَثِلاً لأمْرِهِ المُطَاعِ
مُسَارِعًا بِكُلِّ مُسْتَطَاعِ

⚙⚙

وَمَنْ يَحِدْ عَنِ الأوَامِرِ ، رُمِي
خَارِجَ قُبَّةٍ ، بِلاَ تَوَسُّمِ

⚙⚙

وَرُبَّمَا قُبِلَتِ الشَّفَاعَةْ
إذَا أتَى بِمَا يُفِيدُ الطَّاعَةْ

⚙⚙

وَتَسْتَمِرُّ مُدَّةُ السُّلْطَانِ
جَيَّاشَةً بِرَائِعِ البَيَانِ

⚙⚙

مُزْدَانَةً بِالنَّدَوَاتِ (1) العَامِرَةْ
مَمْزُوجَةً بِالكَلِمَاتِ الشَّاعِرَةْ

⚙⚙

---

(1) بالندوات العامرة

لم تكن الهمم مصروفة ـ أثناء النزهة ـ لمجرد الطعام والشراب والمرح البريء والأُنس الغامر ، والتملي بجمال الطبيعة ، وما اشتملت عليه من ورود وزهور وأقاح وفلّ ونسْرين وياسمين ، وما يغمر الجميع من ألوان تثني على الله بآلاء الصور ، وإنما كان لشؤون الفكر صوْلاتٌ وجوْلات ، بين طلبة القرويين الذين كانوا يعكفون على التزود من المعرفة أثناء الليل وأطراف النهار . وبما أن الأَدب متصرف في جميع الفنون لاتساع أُفُقه فإنه ينال في عطلة الربيع وتظاهرة سلطان الطلبة حصة الأَسد .

فَـــإِنْ تَـــهَــيَّـــأ إِلَـــى الـــصَّـــــــــلاَةِ
فِـــي يَـــوْمِ جُـــمْـــعَـــةٍ ، وَلِلْـــصَّـــــــلاَتِ

❂❂

رَكِبَ صَهْـوَةَ (1) الْـحِـصَـانِ الْـمَـلَـكِـي
وَمَـــرَّ بَـــيْـــنَ الـنَّـــاسِ فِـــي تَـحَـرُّكِ

❂❂

وَقَـــطَـــعَ الْـــجِـــهَـــاتِ ، وَالأَسْـــوَاقَـــــا
مُبْـتَـسِـمًـا ، مُـــتَـــقِـــداً إِشْـــرَاقَـــا

❂❂

وَالـــنَّـــاسُ فِي الطُّـــرُقِ سَـــيْـــلٌ عَـــارِمُ (2)
وَالْـــجَـــمْـــعُ بِالـــرَّوْنَـــقِ جَـــمْـــعٌ سَـــالِـــمُ

❂❂

وَيَـــرْفَـــعُ الْأَكُـــــفَّ بِـــالـــدُّعَـــــــاءِ
سُـــلْـــطَـــــــانُ طُـــــلاَّبٍ لِـــكُـــلِّ رَاءِ

❂❂

---

(1) الصهوة بفتح فسكون ففتح،

وتجمَعُ على صهوات : حيث يقعد الفارس من ظهر الفرس .

(2) سيل عارم

يقال عَرِمَ بوزن فرِحَ يعرم عرامة فهو عَرِمٌ وعارم إذا خرج عن الحد

ومعنى ذلك هنا أن الناس بالمناسبة يتماوجون في الطرقات تماوج السيل الطاغي

العارم الخارج عن الحد ـ ومع ذلك يظل الجمع سالما لا تكسير فيه.

لِعَلِيِّ (1) بْنِ حِرْزِهِمْ مَسِيرُ
فِي عَادَةٍ ، ضَرِيحُهُ مَزُورُ

❁❁

وَجَرَتِ الْعَادَةُ بِالْهَدَايَا
تَسْطَعُ لِلنَّاسِ عَلَى الْمَرَايَا

❁❁

فَمِنْ كِبَاشٍ ، وَنُقُودٍ ، وَطَحِينْ
مِنْ مَلِكٍ بِالْعِلْمِ دَائِمِ الْيَقِينْ

❁❁

وَفِي الْمَسَاءِ يَقِفُ الإِثْنَانِ
وَجْهًا لِوَجْهٍ ، بَادِيَيْ تَدَانِ

❁❁

عَلَى جَوَادَيْنِ مُطَهَّمَيْنِ (2)
قَدْ زُيِّنَا بِخَالِصِ اللُّجَيْنِ

❁❁

---

(1) علي بن حرزهم : (559 هـ)

هو أبو الحسن علي بن اسماعيل بن عبد الله بن حرزهم ، الذي يوجد ضريحه خارج باب الفتوح بفاس ـ يمتاز بالعلم والصلاح ، واعتاد سلطان الطلبة ورفاقه ان يزوروا هذا الضريح بعد صلاة الجمعة ، لان مولاي رشيد الذي سن هذه السنة الحميدة : سنةَ سلطان الطلبة ، يوجد قبره بوصية منه داخل ضريح سيدي علي بن حرزهم ، حيث أشير .

(2) على جوادَيْن مُطَهَّمَيْن :

الجواد المطهم هو الناعم الحسَن ، التامُّ الحسْنِ .

سُلْطَانُ طُلاَّبٍ يَفُوهُ نَاطِقَا
بِخُطْبَةٍ ، قَدْ جَمَعَتْ رَقَائِقَا

❂❂

وَرُبَّمَا أَثَارَتِ ابْتِسَامَا
إِنْ وَافَقَتْ عَاهِلَنَا الإِمَامَا

❂❂

وَتَنْتَهِي النُّزْهَةُ بِالْهُرُوبِ
لِمَلِكِ الطَّلَبَةِ الْمَرْهُوبِ (1)

❂❂

خَشْيَةَ أَنْ يُرْجَمَ مِنْ طُلاَّبِ
بِحَجَرٍ ، يَحُطُّ كَالْعُقَابِ (2)

❂❂

وَهَكَذَا يَمُرُّ عِيدُ الْعِلْمِ
فِي نُزْهَةٍ ، شَيِّقَةٍ ، وَفَهْمِ

❂❂

---

(1) المرهوب : الخائف من تبعات الزيادة في المدة المسموح بها لسلطنته... ولذلك يأخذ أُهبته التامة لإنهائها في اللحظة المطلوبة منه ، خوفا من الحجارة إذا اصبح نائما،ومن أَجْله يخرج من خيمته متخفيا ومتسترا بالظلام ، قبل مباغتة ضياء الصبح .

(2) العُقاب : طائر من الجوارح ، ذو مخالب قوية ومنقار معقوف ، يحط على الفريسة فيفترسها لِلتَّوِّ .

وَالاسْتِعْمَارُ سَارَ بِالْمُدِيرِ
وَالْعُلَمَا ، لَمَخْبَأٍ حَقِيرِ

❂❂

أَخَذَهُمْ مِنْ كُرْسِيِّ التَّعْلِيمِ
إِلَى الْمَهَامِهِ ، (1) بِأَرْضِ الْبُومِ

❂❂

لأَنَّهُمْ قَدْ وَقَفُوا الْمَوَاقِفَا
وَضِدَّهُ ، قَدْ كَتَبُوا الصَّحَائِفَا

❂❂

وَخَطَبُوا فِي دَاخِلِ الأَسْوَاقِ (2)
وَفِي الْمَسَاجِدِ ، وَفِي الأَبْوَاقِ

❂❂

وَبَيَّنُوا لِلشَّعْبِ حُكْمَ الدِّينِ
فِيمَا أَتَى عَنْ حَاكِمٍ مَأْفُونِ

❂❂

---

(1) المهامِه : الفيافي والقِفار ، واحدها : مهمهٌ
والمراد النقل الى أماكن الوحشة والغربة . زيادة في التنكيل ، والتشفي ممن يقول : رَبِّي اللهُ .

(2) كان العلماد يخطبون في المظاهرات ويحضُّون الناس على الثبات ، ويذكرونهم بما وعدهم الله به من ثواب جزيل ، في الدار الآخرة ، يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا .
وكانوا يُضَمِّنُون خطب الجمعة التي يلقونها على المنابر ـ وخاصة منبر جامع القرويين : ما يُلْهِبُ الحماس في نفوس المواطنين ، فيصمدون في معركة الكفاح الوطني .

سَلْ عَنْهُمُ السُّجُونَ ، وَالمَنَافِيَا
تَجِدْ نِضَالاً ، لِلْعِيَانِ ، بَادِيَا

⚙⚙

سَلْ عَنْهُمُ خَلِيَّةَ اسْتِقْلاَل
تُنْبِئْكَ عَنْ صُوفِيَةِ (1) الرِّجَالِ.

⚙⚙

وَعَنْ دُؤُوبِهِمْ بِلاَ انْقِطَاعِ
تَوْعِيَةً لِلْمَغْرِبِ المُلْتَاعِ (2)

⚙⚙

سَلْ عَنْهُمُ ، مَحَاكِمًا بِفَاسِ
وَنُطْقَهَا : طَغَى بِحُكْمٍ قَاسِ

⚙⚙

---

(1) صوفية الرجال :

كان العلماء وهم يقومون بالتشغيل السياسي في الخلايا يومنون إيمانا منقطع النظير بالرسالة التي يقومون بها في مجال التوعية والتوجيه حتى كأنهم جماعة من الصوفية المنقطعين لعبادة الله في خلواتهم،والمتقربين اليه بتلك العبادة التي تحتل شِغَاف قلوبهم وتسكن في طيات نفوسهم وتلامس أعماق ضمائرهم . والكلام إذا خرج من القلب وقع فيه ، ولذلك كان عملهم منتجا ، وكانت رسالتهم ناجحة ، ولله الحمد .

(2) المُلْتَاع : المصاب بلوعة الحزن من جراء الاستعمار الضارب بجرانه عليه .

بَعْدَ زَمَانٍ قَدْ قَضَاهُ الْعُلَمَا ...
وِطَاؤُهُمْ أَرْضٌ (3) ، وَمِنْ فَوْقُ سَمَا

۞۞

(3) وِطاؤهم أرض :

لما أُلقي القبض على العلماء مع عدد من المواطنين عَقِبَ المطالبة بالاستقلال حبس الجميع في مركز الاستعلامات بفاس ثم في ساحة المحكمة، نظرا لتأخرصدور الحكم عليهم، ونظرا للاهمال الذي قوبلوا به ، قضوا بضعة أيام وليالي افترشوا فيها بساط الارض . والتحفوا أديم السماء . وكان الفصل فصل شتاء .ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وَالْوَقْتُ بَـرْدٌ ، وَالصَّقِـيـعُ (1) هَـاطِـلُ
وَغَـضَـبُ الْـحَـاكِـمِ قَـوْلٌ بَـاطِـلُ

❂❂

يَـقُـولُ : عَـامَـيْـنِ لِـكُـلِّ عَـالِـمِ
يَقْضِيهِمَا فِي قَـبْـضَـةِ الـقَـوَاصِـمِ (2)

❂❂

لِـأَنَّـهُ يَـدْعُـو لِـلاسْـتِـقْـلاَلِ
مُـؤَيِّـداً "وَثِـيـقَـةَ (3) اسْـتِـقْـلاَلِ"

❂❂

وَنُـقِـلُـوا كَـسَـقَـطِ الْـمَـتَـاعِ
فِي نَظَرِ الْـمُـسْـتَـعْـمِـرِ ، الاقْـطَـاعِـي

❂❂

فِي شَاحِنَـاتِ مُـنْـتِـنَـاتٍ ، مُـغْـلَـقَـهْ
لاَذَ بِهَـا الْـمَـرْءُ بِـمَـنْ قَـدْ خَـلَـقَـهْ

❂❂

هوامش :

(1) الصقيع : الجليد .

(2) القواصم : المهلكات ، والواحدة قاصمة

يقال قصم الرجل يقصمه إذا أهلكه .

(3) وثيقة استقلال :

أول وثيقة كُتبتْ بعد وثيقة المطالبة بالاستقلال كانت وثيقة علماء القرويين الذين عززوا الموقف السياسي بحجج دامغة من كتاب الله وسنة رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وقدموها لأمير المومنين وحامي حمى الملة والدين سيدي محمد الخامس رضوان الله عليه ، وكان الوفد يتألف من شِيبِ (1) العلماء وشبابهم (2) برئاسة مدير القرويين إذذاك الاستاذ السيد محمد الفاسي الذي قرأ نص الرسالة بلهجة مؤثرة،فسمع أعضاء الوفد من جلالة الملك ما أثلج الصدور ، وقوّى العزائم .

1ـ هم العلماء الأجلاء رحمهم الله : سيدي الحسن مزور ، وسيدي محمد ابن عبد الرحمان العراقي ، وسيدي الحاج العربي الحريشي ، ومولاي احمد الشبيهي.

2ـ هم : الحاج احمد ابن شقرون،والسيد عبد الوهاب الفاسي رحمه الله ، والسيد عبد الكريم الداودي،والسيد عبد الله الداودي رحمه الله .

وكَـادَتِ الـنَّـفْـسُ لِـقِـلَّـةِ النَّسِـيـمْ
تَصِيرُ فِـي عِـدَادِ أَصْـحَـابِ الـرَّمِـيـمْ

۞۞

وَصَفْـرُو (1) كَانَ المَـعْـقِـلَ الـمَـطْـلُـوبَـا
مُـسْـتَـعْـمِـرٌ مَـلأَهُ تَـعْـذِيـبَـا

۞۞

وَحُـبِـسَ الـجَـمِـيـعُ فِـي دِهْـلِـيـزِ
وكُـلُّـهُـم مِـنْ جِـلَّـةِ التَّـبْـرِيـزِ (2)

۞۞

وَالـمَـاءُ مَـفْـقُـودٌ ، وَأَحْـرَى الـمَـأْكَـلُ
وَصِـفَـةُ الـمَـكَـانِ ضِـيـقٌ مُـهْـوِلُ

۞۞

وكُـلَّ لَـحْـظَـةٍ يَـمُـرُّ رَجُـلُ
إِلَى الـمَـبَـالِ ، وَالـطَّـرِيـقُ مُـقْـفَـلُ

۞۞

---

(1) صفرو : مدينة قديمة على مسافة ثلاثين كيلومترا من مدينة " فاس" يتخذها أهل فاس مصطافا لهم لكثرة أشجارها وتدفق مياهها العذبة ، ولكنها في هذه المرة اتخذت معقلا لتعذيب الوطنيين وعلمائهم .

(2) التبريز : مصدر برّز بتشديد الراء بمعنى تفوق في معلوماته وفضله .

وَالاكْتِظَاظُ (1) يَجْعَلُ الْمُرُورا
لِلْبَوْلِ صَعْبًا ، سَيِّئًا ، عَسِيرا

✪✪

لَيْلَ نَهَارَ يَسْتَمِرُّ الْعَمَلُ
وَالسُّخْطَ يَقْوَى ، وَالرِّضَى يَنْتَقِلُ

✪✪

وَالْقَوْمُ فِي تَذَمُّرٍ (2) مَلْمُوسِ
هَاجَتْ بِهِ الْمَوْجَاتُ فِي الرُّؤُوسِ

✪✪

فَرَفَعُوا الأصْوَاتَ بِالدُّعَاءِ
لِلْقَادِرِ الْمُفَرِّجِ الضَّرَّاءِ

✪✪

مُبَدِّلِ الشِّدَّةِ بِالرَّخَاءِ
فِي لَحْظَةٍ ، وَطَارِدِ الأعْدَاءِ

✪✪

---

(1) الاكتظاظ مصدر اكتظّ المكان بالناس اذا امتلأ بهم حتى صار لا يتحمل زائدا .

(2) التذمر : التبرم والتغضب من واقع مؤلم .

-وَفِــي صَــبَــاحٍ بَــارِدٍ "وَشَــاتِــي"
وَالــثَّــلْــجُ يَــهْــطِــلُ عَــلَــى الــجِــهَــاتِ

۞۞

فُتِحَ بَابُ "الإِصْطَبْلِ" (1) الْــمَــشْــؤُومِ
فَــزُحْــزِحَــتْ مَــخَــانِــقُ الْــهُــمُــومِ

۞۞

وَانْــقَــشَــعَــتْ دُجُــنَّــةُ (2) الــغُــيُــومِ
عَــنْ أَمَــلٍ مِــنْ رَبِّــنَــا الــقَــيُّــومِ

۞۞

وَاصْــطَــفَّ أَهْــلُ اللَّــهِ فِــي الْــفِــنَــاءِ
لِــيُــنْــجَــدُوا - مِنْ بَعْدُ - فِي الــعَــرَاءِ (3)

۞۞

وَالْعُــلَــمَــا ، تَــحَــلَّــلُوا مِــنْ ضِــيــقِ
وَأَخَــذُوا - يَــا صَــاحِ - فِــي الــطَّــرِيــقِ

۞۞

---

(1) الاصطبل : الاروى التي تعد مأوى للدواب وقع اختيار الاستعمار عليها في هذه المرة لتكون معقلا للوطنيين الابرار .

(2) الدجنة : الظلمة

(3) العراء : الساحة في الفضاء

أرْجُلُهُمْ فِي وَحَلٍ تَغِيبُ
طُولَ الْمَسَافَةِ هُوَ الْمَرْكُوبُ

❁❁

يَخْفِرُهُمْ مُسْتَعْمِرٌ عَنِيدُ
مُشَاكِسٌ (1) ، وَأَمْرُهُ مَرْدُودُ

❁❁

فِي خَصْرِهِ مُسَدَّسٌ مَرْصُودُ
وَ"الْكُومُ" فِي الْخَفْرِ هُمُ الْعَبِيدُ

❁❁

وَالْجُوعُ ، وَالْعَطَشُ ، وَالْعَيَاءُ
يَفْرِضُهَا التَّحْرِيرُ ، وَالْعَلْيَاءُ

❁❁

وَالصَّبْرُ ، وَالإِخْلَاصُ ، وَالْوَفَاءُ
مَهْرُ الَّذِي تَأْسِرُهُ الْحَسْنَاءُ

❁❁

(1) المشَاكس : اسم فاعِل من شَاكسَه مشاكَسة فهو مشاكِس إذا خالَفه في الرأي وعاسَره في المعامَلة .

وَعَالِمٌ سَقَطَ فِي الطَّرِيقِ
مِنْ كَثْرَةِ الْوَحَلِ ، وَالتَّضْيِيقِ

❂❂

وَمَرَّ يَوْمٌ كُلُّهُ فِي السَّيْرِ
وَاللَّيْلُ نَالَ حَظَّهُ مِنْ ضَيْرِ

❂❂

فَلَمْ تَلُحْ "لَوَاتَةُ" (1) الْمَخَرَّبَةْ
حَتَّى أَبَادَ كُلُّ فَوْجٍ رُكَبَهْ (2)

❂❂

مِنْ كَثْرَةِ الْمَشْيِ عَلَى الأَقْدَامِ
وَقُوَّةِ الضَّغْطِ عَلَى الْعِظَامِ

❂❂

فَلاَحَتِ الْخِيَامُ فِي الْعَرَاءِ
مَفْرُوشَةً بِتِبْنِهَا الْوَبَائِي

❂❂

---

(1) " لواتة "

قرية قديمة مخربة كانت تعرف بقرية الهوام والحشرات تبعد عن مدينة صفرو ـ بمسافة طويلة ذات طرق ملتوية وشاقة .

(2) الركب : جمع ركبة وأقل الجمع اثنان .

(3) الوبائي منسوب الى مرض الوباء ، وبالفعل مرض في قرية " لواتة" عدد من الوطنيين بسبب ذلك .

وَصُبَّ أَهْلُ اللَّهِ فِي الخِيَامِ
كَمَا يُصَبُّ التُّرْبُ فِي الرِّجَامِ (1)

❁❁

وَلِلْعَيَاءِ لَمْ يُفِقْ مِنْ أَحَدِ
إِلَى الصَّبَاحِ. مِنْ "وَثِيرِ" (2) الْمَرْقَدِ

❁❁

وَبَاكِراً قَدْ كَلَّفُوا الضُّيُوفَا
بِحَفْرِ وَادٍ لَمْ يَزَلْ مَعْرُوفَا

❁❁

وكَانَتِ الْفُؤُوسُ لاَ تُفِيدُ
إِذْ لَيْسَ فِيهَا وَاحِدٌ جَدِيدُ

❁❁

وكُلُّهَا مِنْ كَثْرَةِ اسْتِعْمَالِ
تَحَوَّلَتْ لِخَائِرٍ ، وَبَالِ

❁❁

---

(1) الرجام : القبور

(2) الوثير : الهش اللّيّن

وذكر هنا على ضرب من التهكم .

وكُلَّمَا اسْتَعْمَلَهَا مُعَذَّبُ
لِلْحَفْرِ ، لَمْ يَنَلْ لَهُ مَا يَطْلُبُ

❂❂

فَشُدخَتْ (1) يَدَاهُ بِالتَّوالِي
مِنْ أجْلِ مَا يُولِيهِ مِن فَعَالِ

❂❂

وَالأمْرُ زادَ في عَذَابِ الْعَالِمِ
وَذَاكَ مَقْصُودُ الدَّخِيلِ ، الْحَاكِمِ

❂❂

وبَعْدَ لأْيٍ (2) خُطَّتِ السَّوَاقِي
وَذِكْرُهَا الْمَشْهُورُ ، ذِكْرٌ بَاقِ

❂❂

وَبِسَوَاقِي الْوَطَنِ ، الشَّرِيفِ
تُعْرَفُ عِنْدَ الْقَصْدِ لِلتَّعْرِيفِ

❂❂

(1) شدخت : تحيف منها الجهد المبذول فتحطمت .

(2) وبعد لأْيٍ أيْ بعْدَ مشقةٍ وعناءٍ .

وكُـلَّـمَـا خَـلَـتْ لِـقَـوْمٍ حُـكَـمَـا
وَيُـعْـرَفُـونَ عِـنْـدَنَـا بِـالْـعُـلَـمَـا

❂❂

فُـرْصَـةُ تَعْـلِـيـمٍ أَتَـوْا بِمَا يُـفِـيـدْ
مِـنْ أَمْـرِ دِيـنٍ ، لِلسَّـجِـينِ الْمُسْـتَـفِـيدْ

❂❂

وَوَعَظُـوا ، تَـخَـفِّـيًـا ، مِنَ الـرَّقِـيـبْ
وَنَـصَـحُـوا كُـلَّ مُـوَاطِـنٍ لَـبِـيـبْ

❂❂

وَذَكَّـرُوا السَّـجِـيـنَ ، بِـالْـمَـثُـوبَـةْ
يَـوْمَ مَـعَـادِهِ ، وَبِـالْـعُـقُـوبَـةْ (1)

❂❂

فَـقَـوِيَـتْ عَـزِيـمَـةُ الْـمُـنَـاضِـلِ
وَسَـلِـمَـتْ مِـنْ هِـزَّةٍ ، وَبَـاطِـلِ

❂❂

---

(1) المثوبة ـ والعقوبة :

في الدار الآخرة ينال المخلصون مثوبة من الله جزاء وفاقا على ما قدّموا من خير في هذه الدار .

وينال الظالمون عقوبة على ما اقترفوا من شر في هذه الدار .

لقول الله تعالى : " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" . صدق الله العظيم .

وَنَــــزَلَ الأمْــــــرُ بِــالانْـــــتِـــــقَـــال
لِـــسِـــجْـــنِ "بُـــولْـــمَـــانَ" ، لِلامْـــتِـــثَـــال

✿✿

فَـــسَـــافَـــرَ الجَـــمِـــيـــعُ ثُـــلْـــثَ شَـــهْـــرِ
وَالـــنَّـــوْمُ فِـــي الطُّـــرُقِ فَـــوْقَ صَـــخْـــرِ

✿✿

وَكُـــلَّـــمَـــا مَـــرُّوا بِـــقَـــوْمٍ كُـــرَمَـــا
جَاؤُوا بِـمَـا يَـحْـضُـرُ مِـنْ أُكْـلٍ ، وَمَـا

✿✿

وَسِـــجْـــنُ "بُـــولْـــمَـــان" أَشَـــدُّ أَلَـــمَـــا
فَـــقَـــدْ تَـــطَـــايَـــرَ أَذَاهُ حُـــمَـــمَـــا (1)

✿✿

فَالْـحُـكْـمُ لَـمْ يَـبْـقَ بِـكَـفٍّ مَـدَنِـي
بَـلْ إِنَّـهُ لِعَـسْـكَـرٍ ، مُـخْـشَـوْشِنِ (2)

✿✿

---

(1) الحمم : جمع حممة .

وهي كل ما احترق بالنار ، قالوا : ومن ذلك الحمم التي تقذفها البراكين.

(2) المخشوش : الشديد الخشونة .

وَاشْـتَـدَّ بالإِخْـوَانِ بَـرْدٌ قَـارِسُ
وَاشْـتَـطَّ (1) بِـالْـخِـلاَّنِ قَـدْمٌ (2) حَـارِسُ

❂❂

وَحَـلَّـتِ الـزَّعَـازِعُ الْـمَـجْـنُـونَـةْ
وَجَـاءَتِ الأَوَامِـرُ الْـمَـلْـعُـونَـةْ

❂❂

وكُـلِّـفَ الْـجَـمِـيـعُ شَـدْخَ الشَّـجَـرِ
لِتَـسْـتَـحِـيـلَ مِـحْـنَـةٌ لَلْـبَـشَـرِ

❂❂

وَمَـنْ يَـكُـنْ عَـجَـزَ عَـنْ مَـلْـزُومِـهِ
فَـإِنَّـهُ يُـحْـرَمُ مِـنْ مَـطْـعُـومِـهِ

❂❂

وَالأَكْـلُ خُـبْـزٌ تَـرِبٌ ، وَقَـهْـوَةٌ
فِي اللَّـيْـلِ وَالـنَّـهَـارِ ، كُـلاً : خُـبْـزَةٌ

❂❂

(1) اشتط : تجاوز الحدّ

(2) والقدم : بفتح فسكون ، المعتوه القليل الفهم .

وَالسُّجَنَاءُ كَلَّفُوا بِالسَّكَنِ
لِيَسْلَمُوا مِنْ ضَرَبَاتِ الدَّرَنِ (1)

⚙⚙

فَأخَذُوا الأعْوَادَ مِنْ أشْجَارِ
وَرَسَمُوا بِهَا كَشَكْلِ الدَّارِ

⚙⚙

وَوَضَعُوا التُّرَابَ فَوْقَ السَّقْفِ
فَحَطَّ فِي الْعَيْنِ وَبَيْنَ الأنْفِ

⚙⚙

وَفِي الطَّعَامِ ، وَفُوَيْقَ الرَّأْسِ
مُنَوَّعاً ، مُسْتَقْذَرَاتِ (2) الحَبْسِ

⚙⚙

(1) الدَّرَن : داء السل

(2) المستقذرات : المستقبحات ـ المستهجنات .

ـ والشيحُ ، والرِّيحُ ، هُمَا الوَصْفَانِ
لِمَنْ يُرِيدَ الوَصْفَ لِلْبُولْمَانِ (1)

۞۞

ـ أعِرْنِي سَمْعًا يَا أخي الصَّغِيرا
أُفِدْكَ مَا قَاسَيْتُ مُسْتَطِيرا

۞۞

فَقَدْ وُلِدْتَ بَعْدَ الاسْتِقْلالِ
مُحَرَّراً ، والقَلْبُ مِنْكَ خَالِ

۞۞

في دارِ بُولْمَانِ الَّتِي وَصَفْتُ
دَلَفْتُ لَيْلاً مَرَّةً ، ونِمْتُ

۞۞

وَنَامَ أيْضًا سَائِرُ الإخْوَانِ
بِدارِ بُولْمَانِ عَلَى الأرْكَانِ

۞۞

(1) بولمان ـ يكثر فيه الشيح والريح،ولذلك لم يَسْلَم من جَوِّه الا القليلُ من الإخوان . بينما مرض مُعْظَمُهم بأمراض مختلفة تجرعوا آلامها طوال المدة التي قضوها بين الشيح والريح .

وَفِـي الصَّبَــاحِ حَـطَّـتِ الثُّـلُــوجُ
فَـامْـتَـنَـعَ الـدُّخُــولُ ، وَالـخُــرُوجُ

✪✪

وَجَـــاءَ لِلإِنْــقَــاذ قَــوْمٌ عُــرَفَــا
لِـسُـجَنا ، فِي مَوْتِهِـمْ عَلَى شَـفَـا (1)

✪✪

وَكُـلُّ عَــارِفٍ يَـسُــوقُ أَحْــمَــرَهْ
لِـيُـنْـقِـذَ الـمَـسْـجُـونَ مِـمَّـا قَـهَـرَهْ

✪✪

وَاسْـتَـغْـرَقَ الإِنْـقَـاذُ وَقْـتًـا أَطْــوَلاَ
فَـحَـفِـظَ اللَّــهُ بِــهِ مِـنَ الْبَــلاَ

✪✪

وَغُـلِـبَ الـبَـعْـضُ فَـلاَحَ جَـامِـدَا
وَعَــادَ مِـنْ بَـعْـدِ الحَـرَاكِ هَـامِـدَا.

✪✪

---

(1) الشَّفَا : القليل والبقية . (بِفتح الشين)

مُـفَـارِقـًـا إِخْـوَانَـهُ ، شَـهِـيـدًا
مُـضَحِّـيـًا ، مُنَـاضِـلاً ، صِـنْـدِيـدًا (1)

❂❂

وَعِـنْـدَهُـم لِـنَـفْـعِ كُـلِّ مَـنْ بَـرِدْ
شُـرْبَـةُ سَـمْـنٍ سَـائِـلٍ فِي الْـمُـعْـتَـمَـدْ

❂❂

لِـذَاكَ وَزَّعُـوا عَـلَـى الْـمَـعْـدُودِ
مِـنْ سَـمْـنِـهِـمْ مَـا جَـادَ بِـالْـمَـرْدُودِ

❂❂

فَـحَـلَّـتِ الـرَّاحَـةُ بَـعْـدَ الـتَّـعَـبِ
وَغَـابَـتِ الـنَّـكْـسَـةُ بَـعْـدَ الـنَّـصَـبِ

❂❂

وَانْـبَـلَـجَ الْـفَـرَجُ بَـعْـدَ الـشِّـدَّةِ
وَغَـمَـرَ الإِخْـوَانَ فَـيْـضُ الـرَّحْـمَـةِ

❂❂

(1) الصنديد : الشجاع الذي لا يبالي بالخطوب .

ـوَنَزَلَ الأمْرُ بِالارْتِحَال
لِسِجْنِ سَطَّاتَ (1) لِلامْتِثَالِ

❂❂

وَشُحِنَ الْجَمِيعُ فِي الْقِطَارِ
مِنْ أرْضِ "فَاسٍ" ، لِجَدِيدِ دارِ

❂❂

وَعَرَبَاتُ الحُمُرِ الْمُسْتَنْفَرَةْ
كَانَتْ مَرَاكِبَ الرِّجَالِ الْبَرَرَةْ

❂❂

وَأغْلَقُوا مَنَافِذَ الْقِطَارِ
لِخَنْقِ مَا فِيهِ مِنَ "الأبْقَارِ"

❂❂

وَالْوَقْتُ صَيْفٌ ، وَالْعَيَاءُ قَاتِلُ
وَالضَّغْطُ بَادٍ ، وَالْبَلاءُ شَامِلُ

❂❂

---

(1) سطات : مدينة تبعد عن الدار البيضاء ببضع كيلومترات ، وفيها سجن يسمى سجن "علي ومومن"

وَأَفْـرِغَ الـْجَـمِـيـعُ فِـي "سَـطـَّـات"
كَـأَنَّـهُـمْ مِـنْ سَـقَـطِ الـْحَـيَـاةِ

✿✿

وحَـلَـقُـوا الـْوُجُـوهَ والـرُّؤُوسَـا
وَفَـتَّـشُـوا ، وَأَزْعَـجُـوا الـنُّـفُـوسَـا

✿✿

وَبَـدَّلُـوا القَـمِـيـصَ بِ "الـْكَـنْـدُورِ" (1)
لِـيَـغْـمُـرُوا الـعَـالَـمَ بِـالـتَّـحْـقِـيـرِ

✿✿

وَلَـيْـسَ مُـجْـرِمًـا ، وَلَـيْـسَ قَـاتِـلاً
بَلْ كَـاتِـبـًا مُـحَـرِّراً مُـنَـاضِـلاً

✿✿

سـلاَحُـهُ الـْمِـدَادُ ، واللِّـسَـانُ
وَرُمْـحُـهُ الـْقَـلَـمُ ، والـْبَـيَـانُ.

✿✿

---

(1) الكندور : هو اللباس الخشن الذي اصطلحوا عليه لباسا للسجناء .

والذي ينشد لابسُهُ قولَ الشاعر :

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا

فَلاَ نَحْنُ فِي الموْتَى ، وَلاَ نَحْنُ فِي الأَحْيَا

وَبَــاكِـــــراً كُـلِّــفَ بِــالْـخُــــرُوجِ
وَطُــوِّقِ الــعَـمَــلَ فِــي الـمُـــرُوجِ

❂❂

فَــتَــارَةً يَــجْـمَـعُ بَــيْـضًــا ، وَذُرَى
وَمَــرَّةً يَــلْـتَـقِـطُ فُــولاً ، نُـثِـرَا (1)

❂❂

وَمَـرَّةً يُـعْـنَـى بِـقَـلْـعِ الْـجَـزَرِ
وَحَـمْـلِـهِ لِلـسِّـجْـنِ حَـمْـلَ ضَـرَرِ

❂❂

وَرُبَّـمَـا كُـلِّـفَ نَـقْـلَ وَحَـلِ
بِـنَـتْـنِـهِ الْـمَـوْبُـوءِ نَـقْـلَ جَـمَـلِ

❂❂

وَأَكْـتَـفِـي هُـنَـا بِـضَـرْبِ الْـمَـثَـلِ
خَـشْـيَـةَ تَـطْـوِيـلٍ ، وَخَـوْفَ مَـلَـلِ

❂❂

---

(1) كانوا يحرثون الفول ويطلبون من كل سجين أن يقطع الحقل ذهابا وإيابا لجمع ما بقي على وجه الارض من الفول المحروث،وأن يحرث كل فولة بأصبعه في الارض،فإذا امتنع من ذلك عوقب بسجن السجن اي "الزنزانة" .

فِي اللَّيْلِ - يَا أخِي - عَلَى الْحَصِيرِ
نَوْمٌ ، إلَى صَبَاحِنَا الْمَقْرُورِ (1)

۞۞

وَيُضْرَبُ النَّاقُوسُ ضَرْبًا ، مُزْعِجَا
مَنْ لَمْ يُبَادِرْ ، بِالخروج أخْرِجَا

۞۞

وَرُبَّمَا رُصِدَ فِي "الزِّنْزَانَةْ" (2)
إنْ لَمْ يُغَادِرْ - مُسْرِعًا - مَكَانَهْ

۞۞

وَيَسْتَمِرُّ لِلزَّوَالِ عَامِلاً
يَصِيرُ بَعْدُ "لِلْكَمِيلِ" ، نَائِلاً

۞۞

وَخُبْزَةٌ يَابِسَةٌ ، يَحُوزُ
وَرُبَّمَا بِلَحْمَةٍ ، يَفُوزُ

۞۞

(1) المقرور : البارد : ذو البرودة القارسة .

(2) الزنزانة : سجن السجن .

يَمُرُّ عَامٌ ، وَيَعُودُ آخَرُ
وَلَيْسَ لِلْمُصَابِ بَعْدُ آخِرُ

✪✪

وَالْعُلَمَاءُ السُّجَنَاءُ عَكَفُوا
عَلَى التَّعَلُّقِ بِرَبٍّ يَرْأَفُ (1)

✪✪

وَكُلَّمَا نَامَ سِوَاهُمْ وَقَفُوا
إِلَى الصَّلَاةِ ، نِعْمَ ذَاكَ الْمَوْقِفُ

✪✪

وَاللَّهُ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ أَقْرَبُ
وَذِكْرُهُ مِنْ كُلِّ عَذْبٍ أَعْذَبُ

✪✪

يُجِيبُ دَعْوَةَ الَّذِي دَعَاهُ
لأَنَّهُ الْمُجِيبُ لاَ سِوَاهُ
- سُبْحَانَهُ -

✪✪

---

(1) يرأف من الرأفة وهي الرحمة ، والله رؤوف بالعباد .

بَعْدَ السَّرَاحِ يَقْصِدُ المَعْزُولُ (1)
لِجَامِعٍ ، وَعِلْمُهُ ، يَقُولُ

۞۞

لَكِنَّهُ يُذَادُ (2) ، عَنْ عَمَلِهِ
مِنْ طَرَفِ المُسْتَعْمِرِ المُسْتَبْلِهِ (3)

۞۞

فَيَحْمَدُ اللّهَ عَلَى المَقْدُورِ
وَيَكْتَفِي بِرِزْقِهِ المَيْسُورِ

۞۞

وَمَعَهُ خَمْسٌ مِنَ الأَطْفَالِ
لَيْسَ لَهُ سِوَاهُمْ مِنْ مُوَالِ

۞۞

وَفِي المَسَاجِدِ يُوَالِي عَمَلَهْ
بَيْنَ العِشَائَيْنِ ، فَيُرْضِي أَمَلَهْ

۞۞

---

(1) المعزول : هو صاحب الأرجوزة .

(2) يذاد : اي يبعد عن عمله مرة أخرى .

(3) المستبله : اي يستبله غيره اي يعده أبله او يظنه كذلك ليتصرف فيه حسب هواه وطبق إرادته لكن ظنه يخيب فيفاجأ بغير ما كان يتوقعه .

وَتَـــرْجِـــعُ الْـمِـــيَـــاهُ لِلْـــمَـــجَـــارِي
بَـعْـدَ الَّـــذِي سَـــمِـــعْـــتَ مِـــنْ أَخْـــبَـــارِ

✿✿

وَيَـــرْجِـــعُ الْـمُـــدِيـــرُ بَـــعْـــدَ الـــتَّـــعَـــبِ
وَالنَّـــفْـــيِ ، وَالـــتَّـــشْـــرِيدِ ، وَالـــتَّـــغَـــرُّبِ

✿✿

فَـيَـجْـمَـــعُ الـــشَّـــمْـــلَ لِـمَـــا تَـــشَـــتَّـــتَـــا
وَيَـــرْتُـــقُ الْفَـــتْـــقَ (1) ، وَمَـــا تَـفَـــتَّـــتَـــا

✿✿

مُـــرَقِّـــيًـــا ، مُـــدَرِّسًـــا ، مَـــعْـــــزُولاَ
بِـــنَـــعْـــتِـــهِ الإِدَارِيَ الْـــمَـــسْـــئُـــــولاَ

✿✿

بِـــفَـــضْـــلِ مَـــوْلاَنَـــا الإِمَـــامِ الْـخَـــامِـــسِ
مَـــنْ حُـــفَّ فِي الْـــخُـــلُـــودِ بِالْفَـــرَادِسِ (2)

✿✿

---

(1) يرتق الفتق : اي يصلح ما انْهار وفسد ـ بسبب حملة الاستعمار على القرويين وأهلها .

(2) ما أكرمه الله به من خير دائم في جنات النعيم .

وَقَبْلَ أَخْذِ عَاهِلِ الْبِلاَدِ
مِنْ عَرْشِهِ : الْمُؤَيَّدِ السَّدَادِ

❁❁

سَطَا عَلَى الْمُدِيرِ الاسْتِعْمَارُ
وَنَالَهُ مِنْ طَبْعِهِ سُعَارُ

❁❁

فَلَمْ يَقُمْ بِجَامِعٍ يُدِيرُ
وَإِنَّمَا عَزَلَهُ مَنْشُورُ

❁❁

لأَنَّهُ وَطَنِيٌّ غَيُورُ (1)
وَعَالِمٌ ، وَمُومِنٌ كَبِيرُ

❁❁

فَانْطَفَأَ الجَامِعُ مِنْ بَعْدِ سَنَى
وَأَدْرَكَتْهُ ضَرَبَاتٌ مِنْ عَنَا

❁❁

---

(1) غيور : أي يغار على حُرمة وطنه بما يقوم به من أعمال وطنية داخل القرويين وخارجها .

وبَعْدَ أخْذ عَاهِلِ الْبِلاَدِ
مِنْ عَرْشِهِ الْمَحْفُوفِ بِالرَّشَادِ

❂❂

عَزلَتِ السُّلْطَةُ مَنْ تَراهُ
فِي جَامِعٍ، ضِداً لِمَا تَهْوَاهُ

❂❂

وَشَمَلَ الْعَزْلُ كِبَارَ (1) الْعُلَمَا
فَنُثِرَ الْعِقْدُ نِثَاراً مُؤْلِمَا

❂❂

وَأَصْبَحَ الْجَامِعُ كَالْيَتِيمِ
مِنْ بَعْدِ عِقْدٍ، رائِعٍ نَظِيمِ

❂❂

وكُنْتُ مَشْمُولاً بِعَزْلِ السُّلْطَةِ
فِي نَكْسَةٍ مِنْ بَعْدِ أخْرَى مَرَّتِ

❂❂

---

(1) كبار العلماء:

وكان عددهم ستة عشر عالماًفي مقدمتهم المرحوم سيدي محمد الجواد الصقلي.

وَرَحَلُوا بِنَا لِبُرْجِ "النُّورِ" (1)
فِي ظُلْمَةٍ ، لَيْسَ بِهَا مِنْ نُورِ

❂❂

وَضَايَقُوا ، وَعَذَّبُوا ، وَفَتَّشُوا
وَبَالَغُوا فِي ضَغْطِهِمْ ، وَأَرْعَشُوا

❂❂

وَاسْتَنْطَقُوا ، وَعَاوَدُوا ، وكَادُوا ، (2)
وَلَمْ يَبِنْ لِبَحْثِهِمْ مُرَادُ

❂❂

وَنَزَعُوا الثِّيَابَ فِي الْمَغَاوِرِ
عَنِ السَّجِينِ ، الصَّامِدِ ، الْمُغَامِرِ

❂❂

وَنَطَقُوا بِالْفُحْشِ ، وَالْهُرَاءِ (3)
وَحَرَّقُوا الأَرَّمَ ، مِنْ عَدَاءِ

❂❂

(1) برج النور : أي برج الشمال الذي قاسى فيه الوطنيون من الألم والعناء ما لا يعلمه الله جل جلاله وتقدستْ أسماؤه وصفاته .

(2) كاذواءأي اعتادوا الكيد في معاملاتهم

(3) الهُراء بضم الهاء القبيح من الكلام

وكَـــانَ أهْـــلُ العَـــزمِ ، والْفِـــداء (1)
قَــدْ جُــنِّــدُوا ، ضِــدًّا عَــلَى الأعْــدَاءِ

❂❂

فَــكَــادَتِ الــسُّــلْــطَــةُ أنْ تُــجَــنَّــا
وَبِــالْجَــمِــيــعِ قَــدْ أسَــاءَتْ ظَــنَّــا

❂❂

تَــسْــألُ : مَنْ قَــتَــلَ ؟ مَنْ تَــجَــنَّــى؟
أيْــنَ مُــسَــدَّسٌ ، بِــرَأْسٍ رنَّــا ؟

❂❂

أيْــنَ مُــسَــدَّسٌ لِصَــدْرٍ حَــنَّــا ؟
أيْــنَ مُــسَــدَّسٌ بِــقَــلْــبٍ غَــنَّى ؟

❂❂

أيْــنَ مُــسَــدَّسٌ بِــوَجْــهٍ جُــنَّــا ؟
أيْــنَ مُــسَــدَّسٌ بِــظَــهْــرٍ طَــنَّــا ؟

❂❂

وَتَــبَــعًــا لِــحَــمْــلَــةِ اسْــتِــنْــطَــاقِ
مَــجْــنُــونَــةٍ ، تَــفْــتِــكُ بِــالــرِّفَــاقِ

❂❂

---

(1) والفداء : تحولت المعركة من الدفاع بالقلم واللسان الى الدفاع بالحديد والنار، وتجنّد لذلك شباب مومن قرروا أن يفْدُوا وطنهم العزيز بأرواحهم ، فصدّقوا ما عاهدُوا اللہ عليه . ومن الفدائيين المقتولين برصاص الاستعمار، عبد العلي ابن شقرون، وعبد العزيز ابن شقرون وعلال ابن عبد الله، ومحمد السلاوي وغيرهم .

وَطَـالَ مُـكْـثُـنَـا بِـبُـرْجِ "النُّـورِ"
فِي حُلْكَـةٍ ، لَـيْـسَ بِـهَـا مِـنْ نُـورِ

❂❂

وَفَـجْـأَةً دَخَـلَ بَـعْـدَ مَـرَضِ
نَـزَلَ بِـالْـقَـوْمِ ، وَبَـعْـدَ مَـضَـضِ

❂❂

نَكِـرَةٌ يَـقُـولُ : يَـا قَـوْمُ أُخْـرُجُـوا
مِنْ ظُـلْـمَـةٍ ، وَلِـبُـيُـوتِـكُـمْ لِـجُـوا (1)

❂❂

"فَـلاَ بَّـرَا" الْـحَـاكِـمُ قَـدْ تَـأَلَّـمَـا
فِـي عُـرْسِ بِـنْـتِـهِ لَـكُـمْ تَـأَلُّـمَـا

❂❂

فَـقَـالَ : يُـهْـدِي لَـكُـمُ الـسَّـرَاحَـا
حَـتَّـى يَـرَى كُـلاًّ قَـدْ اسْـتَـرَاحَـا

❂❂

---

(1) لِجُوا : أمرٌ من وَلَجَ المكانَ يَلِجُهُ إذا دخل إليه - ومفعوله بيوتكم .
وقُوّي باللام لضعف العامل ، لوروده متأخرا .
مثل قوله تعالى : " إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ"

وكَـــانَ ذَا ضَـــرْبـــًا مِــنَ الـــتـــأدُّبِ
مُـغَـلّـفـًــا لِـجَــلْـبِ غِـرِّ (1) ، وَغَــبِـيِّ

⚙⚙

وَبَـعْـدُ حَــطّـتْ كَـعُـقَـابِ الْـجَـــوِّ
"عَــرِيــضَـــةٌ" مَــكْـتُـوبَــةٌ لِلـتـّــوِّ (2)

⚙⚙

حَــرّرَهَــــا الْــفَـطَاحِــــلُ الأبْـــــرَارُ
الْـعُـلَـمَــاءُ ، الســّـادَةُ ، الأنْـصَــارُ

⚙⚙

وَطَــالَـبُـــوا بِـعَــوْدَةِ الــشّـرْعِـــيِّ
الْــمَــلِـكِ ، الْـمُـظَـفّـرِ ، الـْمَـرْعِـيِّ

⚙⚙

لِـعَـرْشِــهِ ، الْـمَـحْـفُــوظِ بِـالـرّحْـمَـانِ
وَشَـعْـبِـهِ ، الْـمُـولَـهِ ، الْهَـيْـمَـانِ (3)

⚙⚙

---

(1) الغِر : الجاهل الذي لا يتوفر على تجارب .

(2) لِلتّوّ : أي فَوْرَ خروجهم من السجن .

(3) الهيْمان : الهائم لمحبته المشتاقُ لرؤيته .

الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ الْمَحْبُوبِ
مُحَمَّدٍ ، الْخَامِسِ ، الْمَوْهُوبِ (1)

۞۞

وَشِبْلِهِ الْحَسَنِ سِرِّ الْعَاهِلِ
وَأُسْرَةٍ فِي قَبْضَةٍ مِنْ بَاطِلِ

۞۞

وَوَقَّعُوا ، وَرَفَعُوا فَسِيقُوا
يَشْمَلُهُمْ فِي قَلْبِ سِجْنٍ ضِيقُ

۞۞

أَمَّا الْمَشَايِخُ فَفِي الْمَنَافِي
وَفِي الضَّرِيحِ (2) مَجْمَعُ الأُلاَفِ

۞۞

قَدْ رَفَعُوا الأَكُفَّ ، لِلْإِلاَهِ
إِذْ لَيْسَ فِيهِمْ - يَا أَخِي - مِنْ لاَهِ

۞۞

---

(1) الموهوب : اي الذي وهبه الله حكمة يتصرف بها في تسيير شؤون مملكته ويدافع بها عن حوزة وطنه،ويبْني بها مستقبل بلاده،ويغرس بها دوحات العزة والكرامة في طول البلاد وعَرضها . تغمده الله برحمته الواسعة .

(2) أعني ضريح المولى ادريس الآزهر بقلب مدينة فاس .

وَمَــرَّ وَقْــتٌ لَـمْ يَنَــالُـوا قُــوتَــا
إِذْ مُـنِـعُـوا مَـنْـعًـا يُـرَى مَـقِـيـتَـا

❁❁

وَخَـطَـبُـوا ضِـدّاً عَـلَـى الْـجَـلِـيـبِ
بِـالْـمَـلِـكِ السَّـاكِـنِ فِـي الْـقُـلُـوبِ

❁❁

مُـحَـمَّـدِ الْـخَـامِـسِ الْـحَـبِـيـبِ
الـشَّـرْعِـيِّ ، الْـمُـؤَيَّـدِ ، الْـمَـطْـلُـوبِ (1)

❁❁

أَعْـنِـي بِـذَاكَ خُـطْـبَـةَ الْـجُـمُـعَـةِ
لِـخَـامِـسٍ دَعَـوْا ، (2) بِـدُونِ رَهْـبَـةِ

❁❁

فَـحُـصِـدُوا جَـمِـيـعُـهُـمْ ، إِلَـى الـرِّبَـاطْ
وَأُنْـزِلُـوا مَـدْرَسَـةً ، قَـيْـدَ رِبَـاطْ

❁❁

---

(1) صلى العلماء وهم في الضريح الادريسي صلاة الجمعة مرتين،وَدَعَوْا في آخر الخطبة الثانية كالعادة لملك المملكة المغربية سيدي محمد الخامس الذي كان في تلك الفترة مُبعَدا عن عرشه (مع وجودِ دُمْيَة الاستعمار)،لذلك هجمت عليهم القوة ليلا واقتحمت داخل الضريح وأخرجتهم بالقوة وألقت بهم داخل مدرسة الاميرة للاعائشة بالرباط وفي دهليز بباب المطبعة القريبة من المدرسة، واستمر مُقامهم هناك نحواً من أربعين يوما كانوا ينامون فيها فوق الحُصُرِ ويجعلون أحذيتهم مِخدات لهم عند النوم،وكان عددهم يصل الى (140) مائة وأربعين عالما،مُعْظَمهم من الشيوخ الأَجلاء مثل العباس بناني،والحاج العربي الحريشي ، والسيد أحمد بن موسى،وسيدي الجواد الصقلي،وسيدي عبد العزيز ابن الخياط،وغيرهم مثل الحاج أحمد ابن شقرون ومولاي أحمد الامراني ومحمد بن احمد الشامي .

وَأَكَلُوا مَا غَثَّ (1) مِنْ طَعَامِ
وَسَمِعُوا مَا سَاءَ مِنْ كَلَامِ

❂❂

وَخُوِّفُوا مَقَامِعَ "الْكَلَاوِي"
لِلْقَتْلِ صَبْراً دَاخِلَ الْمَهَاوِي (2)

❂❂

وَمَرَّةً جَاؤُوا بِأَكْلٍ طَيِّبِ
فَخَشِيَ الإِخْوَانُ مِمَّا قَدْ خُبِي

❂❂

وكُلُّهُمْ تَوَجَّسُوا امْتِهَانَا
وكُلُّهُمْ تَوَقَّعُوا امْتِحَانَا

❂❂

وَهَكَذَا يَا قَوْمُ فَوْراً كَانَا
فِي الْمَسَاءِ جَنَّدُوا الأَعْوَانَا

❂❂

---

(1) ما غَثَّ : أيْ ما فسَدَ من طعام.

(2) الگلاوي كان باشا مدينة مراكش،وكانت كوميسارية القصر اذذاك تخوف العلماء وتقول لهم : إن الگلاوي بنى مطامير ليقتل فيها العلماء صَبْراً،ولكن الله سَلَّم،فأصبحنا نقرأ قول الله تعالى :"فَأَمَّا الزَّبد فيذْهَبُ جفاءً وأما ماينفعُ الناسَ فيمكثُ في الارض" . صدق الله العظيم

وَأَخَذُوا الْوَاحِدَ تِلْوَ الْوَاحِدِ
تَحْتَ الضُّغُوطِ ، لِلسُّؤَالِ الْحَاقِدِ (1)

✪✪

وَطُلِبَتْ تَحْتَ السِّلاَحِ أَجْوِبَهْ
مَكْتُوبَةُ السُّؤَالِ مِمَّنْ طَلَبَهْ

✪✪

فَمَنْ يَقُلْ : نَعَمْ قَدِ اعْتَرَفْتُ
يَطُلْ لَهُ عُمْرُ ، وَيَحْلُ وَقْتُ

✪✪

وَمَنْ يَحِدْ عَنْ نَعَمٍ بِقَوْلِ : لاَ
فِي الْحِينِ يُقْهَرْ بِعَوَاصِفِ الْبَلاَ

✪✪

فَنَجَحَ الإِخْوَانُ فِي امْتِحَانِ
وَخَرَجُوا مِنْهُ بِلاَ هَوَانِ

✪✪

---

(1) : السؤال الحاقد

هو قول السائل : للعالم الممتحن : إذا اعترفتَ بالواقع يُسلِّك بك مَسْلَكٌ خفيف،
وإذا أبيتَ من الاعتراف بالواقع يُسلِّك بك مسلك عنيف . وأنت فقيه نفسك .

ـ فَالْحَمْد لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا
وَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي كَفَانَا

✪✪

وَأَذْهَبَ الْحَزَنَ قَالَ الْعَاهِلُ
فِي لَحْظَةِ النُّصْرَةِ ، وَهْوَ دَاخِلُ (1)

✪✪

وَذَهَبَ اللّهُ بِالاسْتِعْمَارِ
وَفَتَحَ اللّهُ بِالانْتِصَارِ

✪✪

وَعَمَّتِ الْفَرْحَةُ كُلَّ كَائِنِ
وَجَاءَ الاسْتِقْلاَلُ بِالْمَحَاسِنِ

✪✪

وَالْحَسَنُ الْعَاهِلُ خَيْرُ حَسَنِ
لِشَعْبِهِ ، وَدِينِهِ وَالْوَطَنِ

✪✪

---

(1) وهو داخل : كانت لحظةُ رجوع سيدي محمد الخامس وعضده الايمن جلالة الحسن الثاني وباقي الاسرة الملكية الشريفة من أمتع اللحظات وأحسن النفحات في تاريخ هذا الوطن العزيز ، حيث جَعلتْ حداً فاصلا للاستعمار، وفتَحتْ البابَ على مصراعيهِ للاستقلال المنشود .

وَعَلَمَ الْعَاهِلُ بِالْمَعْزُولِ (1)
فَرَدَّهُ لِعَمَلٍ مَقْبُولِ

۞۞

فَرَأَسَ الْعَالِيَ مِنْ تَعْلِيمِ
فِي مَغْرِبٍ ، وَجَاءَ بِالتَّنْظِيمِ

۞۞

وَفَتَحَ الْجَدِيدَ (2) مِنْ مَعَاهِدِ
وَعَمَّمَ الأصِيلَ فِي الْمَسَاجِدِ

۞۞

وَصَارَ بَعْدُ رَجُلاً عَمِيداً (3)
كُلِّيَةً رَأَسَ كَيْ يُفِيدَا

۞۞

وَأَصْبَحَتْ لَهُ بِكُلِّ عَالِمِ
فِي مَغْرِبٍ صِلَةُ خِلٍّ فَاهِمِ

۞۞

(1) هو صاحب الأرجوزة

(2) الجديد من معاهد : في تارودانت وفي وجدة وفي الجديدة وفي وَادِ لَوْ خارج مدينة تطوان .

وفي ذلك معهد الزريطانة وثانوية القرويين بفاس - ودار البارود بمراكش،ومعهد الرصيف.

(3) سمي عميد كلية الشريعة سنة 1962 بقرار من وزير التربية اذذاك يوسف ابن العباس يعد ما قضى ست سنوات على رأس التعليم الاسلامي العالي بالوزارة ورأس ديوان معالي الوزير . ثم سمي عميدا بظهير شريف منيف في 1979 إلى أن سَلَّم الكلية لغيره في 1993، وبذلك يكون بقي على رأس كلية الشريعة بفاس أربعَ عشرة سنة بفضل مولانا الملك المعظم الحسن الثاني أعز الله أمره وَخلَّد في الصالحات ذكره.

فَفَضْلُهُمْ عَلَيْهِ لَيْسَ يُنْكَرُ
إِذْ كُلَّمَا ذُكِرَ يَوْمًا شَكَرُوا

۞۞

وَمَا يَزَالُ رَاجِيًا مَوْلاَهُ
فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ ، كَيْ يَرْعَاهُ

۞۞

حَتَّى يَدُلَّهُ عَلَى الصَّوَابِ
مِنْ عَمَلٍ يَنْفَعُ لِلْحِسَابِ (1)

۞۞

وَعَفْوَهُ ، يَجِدُ فِي الْخِتَامِ (2)
مُخْتَمِيًا بِهِ عَلَى الدَّوَامِ

۞۞

وَبِشَفَاعَةِ نَبِيِّ النَّاسِ
يَحْظَى ، وَيَسْلَمُ مِنَ الْخَنَّاسِ (3)

۞۞

---

(1) للحساب

في الأثر : من أراد اللهُ به خيرا يُوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه .

(2) في الختام

من كان آخر كلامه : لا إله إلا الله (محمد رسول الله) دخل الجنة .

(3) الخنّاس : الشيطان،لانه ينقبض ويتأخر عند ذكر الله تعالى .

وَخَــرَّجَ الـجَـامِــعُ عَــالِـمَــاتِ (1)
فِـي الأَصْــلِ ، وَالْـفَــرْعِ ، مُـثَـقَّـفَــاتِ

۞۞

ـ وَعَـالِــمٍ بِـعُـمْــقِ فَـهْـمٍ مَـقْــرُونْ
لُــغَــوِيٍّ . عُــرِفَ بِـابْــنِ شُـقْــرُونْ

۞۞

واسْـمُـهُ ، (2) عَـبْـدُ الْـقَــادِرِ الأَدِيــبُ
الأَلْــمَــعِــيُّ ، الشَّــاعِــرُ ، الأَرِيــبُ

۞۞

سَـكَــنَ فِــي مَـكْـنَـاسَــةَ الـزَّيْـتُــونِ
وكَــمْ بِـهَـــا دَرَّسَ مِــنْ فُـنُــونِ

۞۞

وكَــمْ لَــهُ مِــنْ نَـظَــرٍ سَـدِيــدِ
فِــي أَكْـلِـنَــا ، وَشُـرْبِـنَــا ، الْـمَــوْرُودِ

۞۞

---

(1) وخرج الجامع عالمات

كان الفوج الأول منهن،الذي تخرج سنة 1957 يتكون من العالمات :

ـ زهور الزرقاء

ـ فطومة قباجة

ـ حبيبة البورقادية

ـ عائشة سقاطة،وأنا يومئذ رئيس قسم التعليم الإسلامي العالي بالوزارة ورئيس امتحان العالمية بفاس .

(2) عبد القادر بن العربي ابن شقرون المعروف بالمكناسي (1140 هـ) هو العلامة الاديب المشارك الذي اشتهر باسم الطبيب لمنظومته في الطب المعروفة باسم "الشقرونية"، تلقّى العلم بفاس على جماعة من كبار العلماء . ورحل الى المشرق وعاد منه بعلم غزير .

وَلَمْ يَزَلْ يَبْحَثُ فِي الأعْشَابِ
وَمَا لَهَا فِي الطِّبِّ مِنْ عُجَابِ

۞۞

حَتَّى أتَى بِزُبْدَةَ الْبُحُوثِ
سَبِيكَةً فِي عُشْبِهِ الْمَبْثُوثِ

۞۞

وَجَادَ بِالْمُؤَلَّفِ ، الْمَرْصُوفِ
وَبِالْبَيَانِ ، الرَّائِعِ ، الْمَعْرُوفِ

۞۞

قَدْ أخَذَ الْعِلْمَ عَنِ الْفُحُولِ (1)
فِي جَامِعٍ ، يَطْفَحُ ، بِالْمَغْسُولِ

۞۞

وَأخَذَ الطَّرِيقَ نَحْوَ الْمَشْرِقِ
فَنَالَ عِلْمًا ، رَيِّقًا ، عَنْ رَيِّقِ

۞۞

(1) عن الفحول : أي كبار العلماء المدرسين بالقرويين الذين من بينهم القادري والطبيب أدراق وأحمد ابن الحاج والسلاوي وغيرهم .

وَمُذْ تَعَمَّقَ صُنُوفَ الْمَعْرِفَةْ
أَدْرَكَهُ مِنَ الْمَعَارِفِ رَفَهْ

❁❁

فَعَاشَ بَيْنَ الْعُلَمَا مَلْحُوظَا
وَعَاشَ خِلاًّ لَهُمُ مَحْظُوظَا

❁❁

وَتَرَكَ الدَّوِيَّ (1) مِنْ شُفُوفِ (2)
بِمَسْمَعِ الزَّمَنِ فِي الْمَعْرُوفِ

❁❁

وَمُذْ تَصَدَّرَ لِنَشْرِ الْعِلْمِ
أَشَارَ كُلٌّ ، نَاعِتًا ، بِالْفَهْمِ

❁❁

فَرَحْمَةُ اللَّهِ ، عَلَى الطَّبِيبِ
الْعَالِمِ ، الْمُحَقِّقِ ، الْخَطِيبِ

❁❁

---

(1) الدوي : أي الصوت المدوي المسموع والمقصودُ صِيتُ المجد .

(2) الشُّفوف : مصدر شف يشف الثوب إذا ظهر ما تحته لرقته،والمرادُ السمعة الحسنة التي تنم عما تحتها من مكانة مرموقة .

ـوعَـــالِـــمٍ ، بِـوَصْـــفِ فِـقْـــهٍ مَـقْـــرُونْ
مُـجْـتَـهِـدٍ ، عُـرِفَ بِـابْـنِ شُـقْـرُونْ

✿✿

واسْـمُـهُ ، (1) عَـبْـدُ الْـقَـادِرِ الْـفَـقِـيـهُ
الْـعَـالِـمُ ، الْـمُـشَـارِكُ ، الـنَّـبِـيـهُ

✿✿

وَلِـيَ خُـطَّـةَ الْـقَـضَـاءِ زَمَـنَـا
فَـكَـانَ ، فِـيـهَـا ، الْـقَـاضِـيَ ، الْـمُـتَّـزِنَـا

✿✿

وَهُـوَ جَـدُّنَـا الَّـذِي نَـعْـتَـرِفُ
بِـسِـرِّهِ ، فِـي دَمِـنَـا ، وَنَـهْـتِـفُ

✿✿

وَمَـضْـرِبَ الْـمَـثَـلِ ، كَـانَ ، كُـلَّـمَـا
طَـغَـتْ مَـشَـاكِـلُ ، فَـجَـرَّتْ أَلَـمَـا.

✿✿

---

(1) هو عبد القادر بن أحمد ابن شقرون (1219 هـ) العلّامة المشارك الداهية في حل المشاكل العويصة ، والذي شغل منصب القضاء مدة في مدينة الصويرة - والذي كان يعرف بمرشد خطباء المنابر ، فهو إذن الأمين العام في القديم لرابطة خطباء المسجد في المغرب .

لأنَّـــهُ فِــي مُــنْــتَــهَــى الــدَّهَــاءِ
وَعَــقْــلُــهُ فِــي مُــنْــتَــهَــى الــذَّكَــاءِ

❂❂

يَــحُــلُّ مَـا صَــعُــبَ ، مِــنْ مَــلْــغُــومِ (1)
بِــفِــكْــرَةٍ ، تَــجُــودُ بِــالْــمَــنْــغُــومِ

❂❂

فَــتُــصْــبِــحُ الْــمَــشَــاكِــلُ الْــمَــعْــقُــودَةْ
عَــلَــى الَّــذِي عَــقَــدَهَــا ، مَــرْدُودَةْ

❂❂

وكُــلَّــمَــا ذَاكَــرَةُ مُــذَاكِــرُ
فَــنُــطْــقَــهُ عَــلَــى الــدَّوَامِ ظَــافِــرُ

❂❂

وَطَــبْــعُــهُ ، وَعِــلْــمُــهُ ، صِــنْــوَانِ
كِــلاَهُــمَــا حُــلْــوٌ ، وَوَصْــفُ ثَــانِ

❂❂

---

(1) الملغوم من الافكار هو ما كان مرصودا من طرف من يلعب بأفكار الناس. ولكنه إذا قوبل هذا الملغوم من الأفكار بفكر مترجّمنا فإنه يضمحل،بل يتحول إلى فكر منغوم يحسُن السكوت عليه بعد سماعه.

فــي كُـمّـه ، عَـلَـى الـمَـدَى ، كِـتَـابُ
وَحُــكْــمُــهُ إِيــاسُ ، (1) أيْ صَــوَابُ

⚙⚙

وَعِـلْـمُـهُ ، بَـيْـنَ الـوَرَى ، مَـنْـشُـورُ
وَعَـقْـلُـهُ ، بَـيْـنَ الـحِـجَـى ، مَـشْـهُـورُ

⚙⚙

وَسَـعْـيُـهُ ، فِي الـخَـيْـرِ ، شَـيْءٌ عُـرِفَـا
وَبِـالـثَّـنَـاءِ الـجَـمِّ ، دَوْمًـا وُصِـفَـا

⚙⚙

وَعَـاشَ ، مُـرْشِـدَ ذَوِي الـمَـنَـابِـرِ
وَنَـاطِـقًـا عَـلَـى الـمَـدَى بِـبَـاهِـرِ

⚙⚙

وَمَـنْ يَـكُـنْ حَـظِـيَ بِـالـشُّـقْـرُونِـي
مُـوَجِّـهًـا ، يَـظْـفَـرُ بِـالـمَـكْـنُـونِ

⚙⚙

(1) إياس : هو القاضي الحكيم المشهور بدهائه،والذي ورد ذكره في قول أبي تمام:

إِقْدَامُ عَمْرٍو ، فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ   فِي حِلمِ أَحْنَفَ ، فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ

مِنْ خُطَبٍ ، تَغْزُو قُلُوبَ النَّاسِ
بِنَاصِعٍ ، يَجُودُ بِالْقُسْطَاسِ
❂❂
فَرَحْمَةُ اللَّهِ ، عَلَى الْغِطْرِيفِ
الْجِهْبِذِ ، السَّمَيْذَعِ ، (1) الْحَصِيفِ
❂❂
ـ وَانْعَطَفَ الْجَامِعُ ، بِالتَّاءِ إِلَى
جَامِعَةٍ ، لِطَالِبٍ إِذَا عَلاَ
❂❂
• فَاشْتَغَلَتْ بِالْبَحْث ، وَالتَّعْلِيمِ
فِي الْكُلِّيَاتِ ، الْجَمَّةِ الْمَعْلُومِ
❂❂
ذَاتِ الْفُصُولِ ، وَالْمُدَرَّجَاتِ
مِنْ خَارِجٍ ، تَبْدُو مُشَيَّدَاتِ
❂❂

(1) السميذع : السيد الكريم الشجاع

قَدْ عَوَّضُوا ، الْكِتَابَ ، بِالْمُحَاضَرَةْ (1)
وَالْعُلَمَاءُ ، عَايَشُوا ، الدَّكَاتِرَةْ

۞۞

وَبَدَّلُوا الْجُلُوسَ ، بِالْوُقُوفِ
لِنَشْرِ مَعْلُومٍ ، عَلَى الصُّفُوفِ

۞۞

وَقَبِلُوا الطُّلاَّبَ ، بِالْمُرَاسَلَةْ
وَأَحْدَثُوا ، طَرِيقَةَ ، الْمُعَادَلَةْ

۞۞

وَبَدَّلُوا ، الزِّيَّ ، بِطَيْلَسَانِ (2)
مُنَوَّعِ الأَلْوَانِ ، لِلأَرْدَانِ

۞۞

وكَشَفُوا ، الرُّؤُوسَ ، لِلْعِيَانِ
بِشَعَرٍ ، مُخْتَلِفِ ، الأَلْوَانِ

۞۞

---

(1) المحاضرة : في الاصل ما يَحْضُرُ العالمَ من المعرفة،وفي المَثَلِ : خير العِلم ما حضرَك أي حاضَرْتَ به ، والمحاضَرة في الاستعمال العصري درس حُضِّرَ ومكتوب في أوراق يملي فيها المُحاضِر على طلبته،ولذلك عَوَّضَتْ المحاضَرة الكِتابَ.

(2) الطيْلسان : كِساء يلْبسه الخواصُّ من المشايخ والعلماء .

وكَـثَّـرُوا الـفُـنُـونَ ، واللُّـغَـاتِ (1)

مِـنْ جِـهَـةٍ ، أتَـتْ ، ومِـنْ جِـهَـاتِ

❂❂

ـ أسْتَـاذَ كُـرْسِـيٍ ، (2) دَعَـواْ ، مَنْ بَـرَعَـا

وكَـانَ لِلْـبَـحْـثِ ، الْـعَـمِـيـقِ ، مَـرْجِـعَـا

❂❂

والْـفِـقْـهُ ، والْـقَـانُـونُ ، يَـلْـعَـبَـانِ

دَوْرَيْـهِـمَـا ، فِـي حَـلْـبَـةِ ، الـرِّهَـانِ

❂❂

---

(1) اللغات المدروسة في الكليات الى جانب اللغة العربية هي : الفرنسية ، والانجليزية ، والاسبانية ، والفارسية .

(2) من بدأ بالتدريس في كلية يسمّى أستاذا مساعدا . ثم استاذا محاضرا، ثم استاذ كُرسي ، فعميد الكلية بظهير شريف إذا اقتضى ذلك نظرُ الجناب العالي بالله .

ـ واللّهُ ، يَحْفَظُ المَليكَ ، الحَسَنا
مُؤَيَّداً ، يُعِزُّ فينَا الوَطَنا

⚙⚙

وَيُنْعِشُ ، الطَّرِيفَ ، والتَّليدا
وَيَنْشُرُ القَديمَ ، والجَديدا

⚙⚙

مِنْ عِلْمِنَا ، مُوَجِّهًا ، غَرِيدا
مُفَكِّراً ، مُوَفَّقا ، مَحْمُودا

⚙⚙

مُـــجَـــدِّداً ، كَـــالْحَـــسَـــنِ الأوَّلْ (1) ، مَــا
جَــدَّدَ فِـــي الْـــقَـــرْنِ الَّـــذِي تَـــصَـــرَّمَـــا (2)

✿✿

فَـــسَـــيِّـــدُ الأكْـــوَانِ جَـــاءَ : مُـــخْـــبِـــرَا
عَـــمَّـــنْ يُـــجَـــدِّدُ لِـــدِيـــنٍ مَـــظْـــهَـــرَا

✿✿

---

(1) مولاي الحسن الاول (1290 هـ)

قال أبو العباس احمد بن خالد الناصري في الجزء التاسع من كتابه الاستقصاص،128 :

لما تُوفي السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان رحمه الله اجتمع أهل الحلّ والعقد من كبار الدولة وقواد الجيش والقضاة والعلماء والأشراف وأعيان مراكش وأحوازها على بيعة نجله أمير المومنين المولى أبي علي حسن بن محمد، لما توفر فيه من شروط الإمامة وتكامل فيه من النجدة والشهامة والزعامة ، ولِمّا اتصف به من الفضل والدين ، وسائر خصال الخير وأسباب اليقين،ولأنّ والده رحمه الله كان استخلفه في حياته وألقى عليه بجميع مهماته، فنهض بأعبائها وتقلّب من معاني السعادة في ظلالها وأفيائها•قال أبو عبد الله أكنسوس:لما استُخلِف المولى الحسنُ حفظه الله لم تشغله شؤون الخلافة المترادفة أثناء الليل وأطراف النهار،ولاما في قصوره السلطانية من الحدائق والازهار ، عن وظائف الدين وأسباب اليقين من نوافل الخير من صلاة وصيام وتلاوة قرآن

وَيَبْعَثُ الْحَمَاسَ ، فِيهِ نَيِّرَا
فِي رَأْسِ ، (1) قَرْنٍ ، يَجْبُرُ ، الْمُنْكَسِرَا

❂❂

مُدَافِعًا ، عَنْ وَحْدَةِ ، التُّرَابِ
بِنُطْقِهِ ، وَعَزْمِهِ ، الْوَثَّابِ

❂❂

مَعْقِلُهُ ، السُّنَّةُ ، وَالْكِتَابُ
وَمِنْهُمَا ، خِطَابُهُ ، (2) يَنْسَابُ

❂❂

ـوَاللَّهُ ، يَحْفَظُ ، وَلِيَّ الْعَهْدِ
مُحَمَّداً ، مُوَاكِباً لِلْمَجْدِ.

❂❂

---

(1) جاء في الأَثَرِ : إن الله يبعث على رأسِ كلِّ مائةِ سنة من يجدد لهذه الأمةِ أمر دِينها .

والمراد بالتجديد : تجنيدُ طاقات الهِمم، للقيام بشعائره ، كما جاءت بذلك الشريعة المطهّرة .

(2) خطابه ينساب :

لا يخلو خطاب لجلالة ملك المغرب مولانا الحسن الثاني نصره الله من آية أو حديث في مُعْظَمِها .

وَصِنْوَهُ ، الْمُهَذَّبَ ، السَّعِيدَا

العَبْقَرِيَّ ، السَّيِّدَ ، الرَّشِيدَا

وَالأُسْرَةَ ، الشَّرِيفَةَ ، الْمَيْمُونَهْ

فِي ظِلِّ مَوْلاَنَا ، سَمَتْ ، مَصُونَهْ

۞۞

الامضاء:

الحاج أحمد ابن شقرون

- رئيس المجلس العلمي الاقليمي لولاية فاس.
- وعضو أكاديمية المملكة المغربية.
- وخليفة الأمين العام لرابطة علماء المغرب.